جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

# كتاب

## مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

# (قراءة النص- الإشكاليات والمناهج)

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021 م

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

# كتاب

# مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

# قراءة النص – الإشكاليات والمناهج

جامعة الوصل - الإمارات العربية المتحدة

2021

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على من المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آهله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإن هذا الكتاب ثمرة يانعة، ونتاج قيِّم لما قُدِّم من بحوث، إلى المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا الذي عُقد في جامعة الوصل بدبيّ يومي (25-24) من شهر نوفمبر لعام 2021م، وقد حمل عنوان (قراءة النص - الإشكاليات والمناهج)؛ حيث شرع هذا العنوان الباب على مصراعيه لطرح كثير من القضايا المحورية والمفاهيم الشائكة ذات الصلة بقراءة النص، في إطار محاور ثلاثة: أولها- النص بين المصطلح والمفهوم، وثانيها- قراءة النص بين التراث والمعاصرة، وثالثها- جدلية العلاقة بين النص وفهمه.

وبعد تحكيم الأبحاث المقدمة تم اختيار تسعة وعشرين بحثًا يعالجون قراءة النص من وجهتيه النظرية والتطبيقية، مع اتساع رقعة التطبيق لتشمل الأنماط المختلفة للنص: اللغوية، والشرعية، والاجتماعية، والإعلامية.

وكانت البحوث المختارة خير شاهد على ما اتسم به المشاركون من اختلاف في الثقافات، والبيئات، والمؤسسات المنتمين إليها، إلا أن جامعهم الأكبر ما تمتعوا به من خبرات عريضة، ورؤى متجددة، ومشاركات فاعلة.

وأما عن منهج ترتيب البحوث في هذا الكتاب فقد حاولنا أن نراعي فيها أولية التقديم، وفق الترتيب الزمني لجلسات المؤتمر، بغض النظر عن طبيعة النص أو نوع الخطاب الذي تناوله البحث؛ ذلك بعد أن قامت لجنة معنية بإعادة مراجعة وتدقيق تلك البحوث. وقد أفردنا باحثي (سمينار الوصل)، وهم طلاب الدراسات العليا الذين كان المؤتمر يرمي إلى أن يستفيدوا من زملائهم الباحثين في كل أرجاء المعمورة- أفردنا لهم قسمًا خاصًّا هو (سمينار الوصل).

ويسعدنا في هذا الصدد أن نسوق أبلغ معاني الشكر والتقدير لمعالي جمعة الماجد رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل، لما أحاط به المؤتمر من رعاية كريمة، ولسعادة مدير الجامعة أ.د. محمد أحمد عبد الرحمن لدعمه الحثيث، ومتابعته المتواصلة، وتوجيهاته السديدة.

كما نقدم جزيل الشكر والتقدير إلى نيابة البحث العلمي واللجان العلمية، والتنظيمية، والتحكيمية، التي أسهمت في نجاح هذا المؤتمر، سائلين الله -تعالى- المزيد من الرقي والتقدم، والرفعة.

**د. إبراهيم ربابعة**

الرئيس التنفيذي للمؤتمر الدولي الثاني للبحث العلمي

# الشعر الصوفي والتأويل

# أقنعة النص ومغامرة المنهج

## (مقاربة نظرية)

**د. يونس إبراهيم أحمد العزّي**
قسم اللغة العربية / كلية التربية – عقرة
جامعة دهوك / العراق

## ملخّص

إنّ الحديث عن النّص الشعري الصوفي ومقاربته غدا من الأمور المثيرة للانتباه في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، بحُكم فرادة وتميّز هذا النوع من النّصوص على مستوى الشكل والمضمون على حدٍ سواء، إذ يحاول النّص الشعري الصوفي -جاهدًا- البحث عن العلاقة بين الإنسان وربّه (سبحانه وتعالى) والكون، من خلال اعتماده على ثنائية الرمز والتأويل في إطار اللغة، وهذا ما يجعل التجربة الصوفية تجربة رموز وإشارات وتلويحات، فالنّص هنا يقول أكثر ممّا يقول ظاهر كلماته، وتتقاطع فيه أبعادٌ ودلالات، تُجسدها لغة رمزية تفرض التواصل معها ذوقيًا أو حدسيًا، فهذا النّص، لغة لا تحمل أسرار المُتخيل وحسب، وإنّما تحمل - كذلك- الذات التي أنتجتها، وهو ما يخلق أزمة تواصلية بين النص الشعري الصوفي ومتلقيه فهمًا وقراءةً وتحليلًا.

ولمّا كانت الحال كذلك، وكانت النتائج المرجوة من أي بحثٍ متعلقة بالمنهج المُتبع فيه، وعلى خلفية أنّ المناهج النقدية ما هي إلّا وسائل ننفذُ من خلالها إلى أعماق النّص ومجاهله وأسراره، يقدّم البحث المنهج التأويلي - كآلية قراءة وتحليل- تُساعد على فكّ رموز وشفرات النّص الصوفي، وكشف دلالاته الخفية، ذلك أنّ طبيعة النّص الصوفي تُعطي للقارئ سلطة أكبر وحُرية أكثر للقيام بتحليل المادة الشعرية وصولًا إلى المتباعد الدلالي، ممّا يُشجع على تبني المنهج التأويلي في مقاربة هذا النوع من النّصوص قصد كشف الغامض، وقراءة المُبهم، وإضاءة المُعتِم.

وحين كان التأويل يختلف باختلاف الفئة الممارسة له من متكلمين وفقهاء ومتصوفة وفلاسفة ونقاد، عرب وغربيين، قدماء ومحدثين، وكان التأويل هو القاسم المشترك بين هؤلاء جميعًا، وأداة لإنتاج المعرفة عندهم، تقترح الدراسة (التأويل الصوفي) منهجًا في قراءة وفهم نصوص الشعر الصوفي، ومنطلقًا في مقاربة تلك النّصوص وتأويل رموزها، من خلال العودة إلى الجذور واستلهام الموروث الصوفي، علّنا بذلك أن نصيب كَبِد الحقيقة أو نُدانيها، وتلك غاية كل باحث ومُنية كل مجتهد.


**الكلمات الدالة:** الشعر الصوفي، التأويل، النص، المنهج، التنظير النقدي.

## Abstract

Talking about the mystical poetic text and its approach has become one of the most interesting things in modern literary and critical studies، by virtue of the uniqueness and excellence of this type of texts at the level of form and content alike. As the Sufi poetic text tries - hard - to search for the relationship between man and his Lord (glory be to Him) and the universe، through its reliance on the duality of symbol and hermeneutics within the framework of language، and this is what makes the Sufi experience an experience of symbols، signs and innuendos. It has dimensions and meanings. It is embodied in a symbolic language that imposes communication with it tastefully or intuitively. This text is a language that not only carries the secrets of the imagined، but also carries - as well - the self that produced it، which creates a communicative crisis between the mystical poetic text and its recipient in understanding، reading and analyzing.

Since this was the case، and the desired results of any research related to the approach followed، and on the background that critical approaches are nothing but means through which we penetrate into the depths، ignorance and secrets of the text، the research presents the hermeneutic approach - as a reading and analysis mechanism - that helps decipher the codes and ciphers of the mystical text and revealing its hidden connotations، because the nature of the mystical text gives the reader greater authority and more freedom to analyze the poetic material down to the semantic divergence، which encourages the adoption of the interpretive approach in approaching this type of texts in order to reveal the ambiguous، read the ambiguous، and illuminate the opaque. While hermeneutics differed according to the group practicing it، from theologians، jurists، mystics، philosophers and critics، Arabs and Westerners، ancient and modern، and interpretation was the common denominator among all of them، and a tool for producing knowledge for them، the study proposes (Sufi interpretation) a method for reading and understanding the texts of Sufi poetry، and a starting point. In approaching these texts and interpreting their symbols، by going back to the roots and drawing inspiration from the mystical tradition، we have thus declared that the share of the truth or its condemnation، and that is the goal of every researcher and the desire of every diligent one.



**Keywords:** Sufi Poetry، Hermeneutics، Text، Method، Critical Theorizing.

**مدخل:**

تمثل التجربة الصوفية، فكرًا وكتابة، انقلابًا معرفيًا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، سواءٌ أنظرنا إليها بوصفها مذهبًا إسلاميًا (دينيًا)، أو بوصفها تيارًا فكريًا (فسلفيًا)، أو بوصفها نصًّا أدبيًا (فنيًا).

وهي، بوصفها كذلك، تُعد تجربة رموز وإشارات وتلويحات، ذلك أنّ التجربة الصوفية تتجاوز السياقات المعهودة في التعامل مع اللغة، وتنقلها - دائمًا - إلى ما هو أبعد، وأعمق دلالة، فطبيعة هذه التجربة الاستثنائية التي تستحوذ على نفس الصوفي هي التي ألجأته إلى الرمز، وهي التي جعلته أكثر غموضًا وإبهامًا، فإذا عمد الصوفي للتعبير عنها، فلابد له من أن يحاول فيستنفد طاقات الحرف كلها، ويستنزف دلالات الكلمة، وتفاوت إيماءات اللفظ، وتشعب طرق البيان، صانعًا بذلك لغته الخاصة الجديدة، وهو ما خلق أزمة تواصلية بين النص الشعري الصوفي ومتلقيه، فهمًا وقراءةً وتحليلًا.

والحقيقة أنَّ إشكالية المنهج ليست قضية هذه الدراسة أو غيرها من الدراسات المعاصرة فحسب، بل هي مسألة تأريخية تعود لعصر فلاسفة اليونان القدماء، فإشكالية القراءة وتحليل الخطاب - كانت وما تزال - من أعقد الإشكاليات التي واجهت العقل البشري، وهذا ما جعله يسعى باستمرار إلى إيجاد آليات منهجية وعلمية لفهم النّص والوقوف على أبعاده الدلالية وتمثلاته المعرفية.

ولمّا كان الخطاب الصوفي - والشعري منه على وجه الخصوص - خطابًا موغلًا في الرمز والتجريد والحجب والممانعة، تجربة وكتابة، فقد اقتضت منهجية البحث دراسته وفق منهج نقدي يمكّننا من كشف أسراره وسبر أغواره وإبراز جمالياته وشعريته الباطنة، فكان المنهج التأويلي خيرَ مُعين في إنجاز هذه المهمة البحثية، ومن هنا دخل النقد والتأويل إلى النّص الشعري الصوفي بوصفهما مسارينِ يُحاكيانِ هذا النّص ويتفاعلانِ معه، انطلاقًا من طبيعة التجربة الصوفية وخصوصية نصوصها الشعرية الرمزية.

ولكن المنهج التأويلي هو عنوان واسع، تندرج تحته العديد من المدارس والاتجاهات والتيارات والأفكار والرؤى، في مختلف الحقول الدينية والفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية، وفي الثقافتينِ العربية والغربية على حدٍّ سواء، وهذا ما يحتّم علينا تحديد تيار بعينه واتجاه بذاته من بين تلك التيارات والاتجاهات التأويلية المتعدّدة، وانطلاقًا من هذه الرؤية، تقترح

الدراسة (التأويل الصوفي) منهجًا لمقاربة الشعر الصوفي، ذلك أنّ الرجوع إلى التراث الصوفي واستلهامه، يُعد - حسب توجّه الدراسة - أفضل وسيلةٍ وأنجع طريقةٍ في فهم رموز هذا الشعر وتحليلها وتأويلها، فمن دونه لم يكن لمنهج آخر - مهما تعدّدت وسائله وتنوّعت آلياته وإجراءاته - ليضيء عتمة هذا النّص الغامض وفَكّ شفراته، في حين أنّ الانطلاق من المفاهيم الصوفية في تأويل الشعري الصوفي يُعطي الباحث مفاتيح سرية تُعينه على فتح ما استغلق من أبواب هذا النّص الممانع والمراوغ.

هذا ما يعالجه بحثنا الموسوم بـ (الشعر الصوفي والتأويل - أقنعة النص ومغامرة المنهج - مقاربة نظرية)، ضمن ثلاثة محاور، جاء الأول منها معنونًا بـ (النّص الصوفي من التجربة إلى خطاب الشعر) تتبّعنا فيه خصوصية النّص الشعري الصوفي - تشكيلًا وتعبيرًا - بوصفه نصًّا مغايرًا يكسر جمع آفاق التلقي، وينزاح عن كل قيم المألوف والمعتاد، فكريًا ولغويًا، أمّا المحور الثاني فقد جاء بعنوان (النّص الصوفي والتأويل: أبعاد الرمز واستراتيجية المنهج) وقد أفردناه لبحث جدلية العلاقة بين الرمز والتأويل، في حين خُصّص المحور الثالث لمناقشة رؤية البحث في تبنّي (التأويل الصوفي) منهجًا لمقاربة النص الشعري الصوفي وتحليله، وأسباب هذا التبنّي ودوافعه وفق رؤية نقدية وعلمية، تحت عنوان (التأويل الصوفي منهجًا لدراسة الشعر الصوفي: كسر الشفرة وإضاءة العتمة).

**المحور الأول: النّص الصوفي من التجربة إلى خطاب الشعر**

التصوف نصًّا، كما التصوف تجربة، هو تشكيل لبُعدٍ وجودي آخر من خلال اللغة، أو هو عملية نفث الروح في اللغة بوصفها جسدًا حسب رولان بارت[1]، وهذا ما يجعل اللغة الصوفية لغة (رمزية/مجازية) ذات دلالات متعدّدة، قابلة لأكثر من تأويل، تتميّز بالتخييل والتمثيل، ولذا فهي عينة بلاغية خصبة.

وإذا كانت اللغة عند (دي سوسير) نظامًا من الإشارات التي تعبّر عن الأفكار[2]، فإنّ الصوفية استخدموا في لغتهم واستعاراتهم إشارات ودلالات تختلف عن استعارات ودلالات الأدب، والفلسفة، والفن، وتشكّل هذه الإشارات - في تركيبها وتكوينها - سياقًا لغويًا خاصًا، فيه جُمل وعبارات رمزية مُلغزة، فتصبح لكُل مفردة دلالة، ولكل جملة حُجة كما يقول

---

1- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك) , شريف هزاع شريف: 34.

2- ينظر: الأسلوب والأسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه)، أحمد درويش، مجلة فصول، المجلد (5)، العدد (1)، السنة (1984م): 64.

إمبرتو إيكو[1].

ولكن قبل البدء في الحديث عن هذه اللغة الرمزية، يفترض أولًا أن نتعرف على التجربة الصوفية، لأنّها الباعث الأول، أو قل هي الدافع المباشر لتوظيف الصوفية للرمز في لغتهم، ومن هنا لا يمكن دراسة اللغة الصوفية/النّص الصوفي إلّا بعد دراسة آلية تكوّن وتشكيل المفردات والجُمل المكونة للنّص الصوفي، وبمعنى آخر، الرجوع إلى التجربة الروحية المكوّنة للغة الصوفية الرمزية، لأنّ اللغة - هنا - تكوّنت من منظور صوفي خاضع لسلسة من الاستعدادات والممارسات الروحية الخاصة، فالنّص الصوفي ولغته الرمزية، لا يتكون كغيره من النّصوص الأدبية بعد جُهدٍ عقلي وتخطيط إنشائي مسبق، بل يتشكّل من إجهاد واستعداد روحي وراء النظر العقلي[2].

وذلك انطلاقًا من أنّ «علاقة الصوفي بالعالم، تتميّز بنوع من الخصوصية، تجعله مختلفًا عن الشاعر - العادي - في الرؤية والأداء، فإذا كان الشاعر يعترف بوجود عالمٍ منفصل عن ذاته، يدخل معه في علاقة تأثير وتأثّر، ساعيًا وراء ذلك إلى محاكاته أو إعادة خلقه، أو تغيير خلقه أو تغيير الوعي به، فإنّ الصوفي في تعامله مع عالمه، يُعطل كل تلك الحواس للكشف عن دقائقه وأسراره، لأنّها تنتمي إلى البشرية، وبقاء البشرية غير، وحيثما لا يرى الإنسان الغير لا يرى نفسه» [3].

وهذا القهر للنفس البشرية، هو غاية السلوك الصوفي وجوهره، فالنفس هي ألدُّ الأعداء، ولا يسمو الصوفي بروحه ويتصل بربّه (سبحانه) إلّا إذا تخلّص من عقبات النفس وشهواتها، وارتفع عن رغبات الجسد وطبيعته الجسمانية (طينته الكثيفة)، فإذا تخلّص من شهوات النفس وتغلّب على طبائعها، سمت روحه اللطيفة، وصارت مؤهلة للاتصال بعالم الروح وطبيعته النورانية الماورائية، هكذا يُعطل الصوفي كل حواسه البشرية حتى يتمكن من رؤية عالمه الروحي، ويتوحد معه، هذا العالم الذي ظلّ يُجاهد نفسه ورغباتها وشهواتها لبلوغه واكتناه أسراره، والانغماس في تجلياته وأنواره، فالتجربة الصوفية - إذن - هي «تجربة بحث عن الأسرار الإلهية في الكون، أسرار الحياة والموت، والنفس والروح، والعقل والقلب، وهي تجربة تختلف من صوفي لآخر، لأنّها علاقة بين الذات الفردية للصوفي والذات الإلهية (العليّة)، تجربة انعتاق من الأعراف، وتجاوز للحدود، يختبر فيها الصوفي

---

1- ينظر: القارئ في الحكاية، إمبرتو إيكو، ترجمة: أنطوان أبو زيد: 21.
2- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 7.
3- شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجًا)، محمد يعيش: 127.

الانفصال عن عالم الأرض، والاتصال بعالم السماء» [1].

وهذه التجربة، هي رحلة روحية، وسفر عرفاني، يبحثُ فيه الصوفي عن الاستقرار والأمن والسلام، ولن يُتاح له ذلك إلّا بالوصول إلى مصدره الروحي، والذي هو «معرفة الله (تعالى) معرفة حقيقية، باعتباره (تعالى) فوق العالم بائنًا ومنزهًا عنه، لأنّه منزهٌ عن الزمان والمكان والسببية» [2]، فأسمى ما يسعى إليه الصوفي ممّا يحقّق له الاستقرار، ويجلب له السعادة، هو معرفة الحق (سبحانه وتعالى) معرفة خالصة، منزهة عن الكيف والزمان والمكان، لأنّ الذات العلية المقدسة هي رمز السمو والكمال، وحتى يُحقق الصوفي ذلك عليه التخلص - أولًا - من جميع صفاته البشرية، لأنّ حواسه قاصرة عن إدراك هذا العالم المطلق، ولن يصل إلى هذه المعرفة إلّا بالحدس القلبي أو الذوق الصوفي، الذي يأتي بعد جملة من المجاهدات الروحية والجسدية التي لا يُستهان بها.

ومن هنا، فإنّ اللغة الصوفية/النّص الصوفي، تتكوّن بعد استعدادات مسبقة (أذكار، أوراد، مجاهدات، خلوات.....)، وتؤدي هذه الاستعدادات إلى تكوّن (الذوق الصوفي)، وهو مصطلح خاص بهم لا يخضع لمنطق العلم، يدرجه الصوفية ضمن (عِلم الأحوال)، ويفهم من سياق المصطلح في مؤلفاتهم أنّه يعني (المعرفة/الإدراك/الفهم الحدسي)، فهو «نور عرفاني يقذفه الحق (سبحانه) في قلوب أوليائه» [3]، والذوق هو القاسم المشترك عند الصوفية في تجربتهم الروحية، وبالنتيجة، هو القاسم المشترك في تكوين اللغة الصوفية/النّص الصوفي، ولذلك يُنبه الصوفية قُرّاء نصوصهم إلى ضرورة فهم هذه المسألة، والدخول في التجربة الصوفية كي لا يُحجب عنهم كُنه النّص ومراده[4].

والذوق في المفهوم الصوفي يعني «ابتداء الشرب، وهو أول مبادئ التجليات الإلهية» [5]، أي هو أوّل درجات الشرب عند الصوفية، والمراد بالشرب «تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات وتنعمها بذلك، فشبّه ذلك بالشرب لتهنيه وتنعمه بما

---

1- القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، وضحى يونس: 106.
2- الشعر الصوفي، د. عدنان حسين العوادي: 224.
3- معجم المصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفني: 51.
4- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 45.
5- اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية، محيي الدين ابن عربي (ملحق بكتاب: التعريفات للشريف الجرجاني): 214.

يرد على قلبه من أنوار مشاهدة قرب سيده» [1]، فيكون الأخير - أي الشرب- أوّل درجات (التلقي/الاستقبال)، والسُكر وهو «غيبة بواردٍ قوي» [2] نتاج الشرب، لذا فإنّه يصبح أوّل درجات (الإرسال/الانفعال)، وهذه الحالة الروحية تؤدي إلى درجة أعلى من الذوق تسمى (المعراج الصوفي) [3].

والمعراج الصوفي هو «عودة إلى البطون يقوم الصوفي من خلاله بتحليل الأركان» [4]، والمقصود منه رحلة داخل النفس لاستلهام نتائج (الذوق - الشرب - السُكر)، لأنّه استشراف للعالم الروحي، تليه حالات روحية متقدمة هي (المحاضرة، تليها المكاشفة، ثم المشاهدة)، و «المحاضرة: حضور القلب بتوارد البرهان ومجارات الأسماء الإلهية بما هي عليها من الحقائق، أمّا المكاشفة: فتطلق بإزاء الأمانة بالفهم، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء» [5]، وعند الطوسي المشاهدة: بمعنى المداناة، والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة تتقارب في المعنى إلّا أنّ الكشف أتم[6]، ويجمع هذه الحالات الثلاثة مصطلح (المخاطبة)، والمخاطبة/المحادثة هي خطاب الحق (سبحانه) للعارفين من عالم الملك والشهادة، كالنداء من الشجرة للنبي موسى (عليه السلام) [7]، وتكون وصفية أو تحليلية تُنتِج اللغة الصوفية/النّص الصوفي[8].

وإذا كانت «اللغة هي التي تنشئ مفاهيمنا عن العالم» [9]، على حدّ تعبير (جاك دريدا)، فإنّ (المعراج الصوفي) هو الذي يُنشئ مفاهيم الصوفي عن العالم، وتتغيّر هذه المفاهيم حسب درجة الذوق، ودرجة الذوق تتغيّر بتغيّر الحال والمقام «فصاحب الذوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الرّيّ صاحي، ومن قوي حُبه تسرمد شربه» [10]، ويمكن توضيح ذلك حسب المخطط الآتي:

---

1- اللُّمع في تاريخ التصوف الاسلامي، أبو نصر السرّاج الطوسي: 373.
2- اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية: 214.
3- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 75.
4- المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة)، د. سعاد الحكيم: 285.
5- اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية: 216.
6- ينظر: اللُّمع في تاريخ التصوف الاسلامي: 337.
7- ينظر: اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية: 216.
8- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 75 - 76.
9- معرفة الآخر، د. عبدالله إبراهيم وآخرون: 139.
10- الرسالة القشيرية، عبدالكريم القشيري: 36.

**الاستعدادات**

**(أذكار، أوراد، مجاهدات، رياضات روحية، خلوات)**

↓

**ذوق**

↓

**معراج صوفي**

↓

**(محاضرة مكاشفة مشاهدة) = مخاطبة (تحليلية أو وصفية)**

↓

**اللغة الصوفية/النّص الصوفي**

**(مخطط رقم (1) مراحل تشكيل اللغة الصوفية) [1]**

إنّ هذه الاستعدادات هي سبيل الصوفي للوصول إلى درجة الكشف والتجلي، ووسيلته في معراجه الروحي إلى حضرة الحق (سبحانه وتعالى) حيث تلقّي الأسرار والأنوار، يقول الشيخ أبو مدين الغوث: «أقرب رحلة تكون للمُريد إلى حضرة الحق الخاصة دوام الذكر، فقد أجمعوا على أنّ من دامت أذكاره صفت أسراره، ومن صفت أسراره كان في حضرة الله (تعالى) قراره» [2]، ومن هنا كان بعض العارفين يقول: «لي منذ ثلاثين سنة لم أخرج من حضرة الله» [3].

وذلك هو مقام الأُنس بالله (تعالى) الذي يفيض عليهم من لطائف المِنن، مِمّا لا يُقدّر بثمن، نتيجة الجِدّ والمجاهدة في الله (تعالى) امتثالًا لقوله جلَّ في عُلاه: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [4].

---

1- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 76 - 77.

2- الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني: 197.

3- المصدر نفسه: 197.

4- سورة العنكبوت: الآية (69).

وهذه المعية الإلهية التي تخصُّهم، والعناية الربانية التي تغمرهم، تدُرُّ عليهم من المواهب والفتوحات التي تفجّر كوامن بواطنهم، وعوالم أرواحهم، إذ على قدر الاستعداد يكون الإمداد، وهذا ما يقرّره ابن خلدون بقوله: «إنّ هذه المجاهدة والخلوة والذكر، يتبعها غالبًا كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله (سبحانه)، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، والروح من تلك العوالم، وسبب هذا الكشف إنّ الروح اذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعُفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وقوي سلطانه وتجدّد نشوؤه، وأعان على ذلك الذكر، فإنّه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نموٍ وتزيّد إلى أن يصير شهودًا بعد أن كان عِلمًا، ويُكشف حجاب الحس، ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذٍ للمواهب الربانية، والعلوم اللدُنية، والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأُفق الأعلى، أُفق الملائكة، وهذا الكشف كثيرًا ما يعرُض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما يُدرِك سواهم» [1].

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه المنزلة لا تُنال إلّا على جسر من التعب، قوامه الجدُّ والمجاهدة، حيث تُصقل مرآة العقل، ويسمو الذوق، ويرقُّ الطبع، وذلك هو الرافد الأساسي الذي يغذي اللغة الصوفية، التي عبّروا بها عن أذواقهم وأشواقهم وما يتطلعون إليه من نوازع القلب الساجد في محراب الحب بحضرة الاتصال والقُرب، ضمن لغة فنية خاصة، لها من المصطلحات ما يؤهلها لقيد الأوابد من المعاني اللطيفة والتجليات الشريفة التي تتراءى لهم في حال الكشف والمشاهدة، حيث يصفو لهم الشراب فيتمتعون بلذيذ الخطاب، وما يتجلّى على طور قلوبهم في نسمات الأسحار بعيدًا عن المكدرات والأغيار[2].

هكذا، تتجاوز التجربة الصوفية السياقات المعهودة في التعامل مع اللغة، وتنقلها دائمًا إلى ما هو أبعد، وأعمق دلالة، وكما يقول أدونيس: فإنّ «لغة التجربة الصوفية تُعيد النظر تجاوزيًا في لغة السائد الشرعي [الظاهر] تأسيسًا للغة الأصل [الباطن]» [3]، فطبيعة هذه التجربة الاستثنائية التي تستحوذ على نفس الصوفي هي التي ألجأته إلى الرمز، وهي التي جعلته أكثر غموضًا وإبهامًا، فإذا عمد الصوفي للتعبير عنها، فلا بُدّ له من أن يحاول

1- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون: 507.

2- ينظر: الخطاب الصوفي بين لطف الإشارة ورمزية العبارة: د. عبد القادر حمراني, مجلة أقلام الهند الالكترونية، (مجلة فصلية محكّمة)، السنة الثالثة، العدد (4)، اكتوبر- ديسمبر (2018م) , مقال متاح على الموقع الالكتروني (www.aqlamalhind.com).

3- الصوفية والسوريالية، أدونيس: 175.

فيستنفد طاقات الحرف كلها، ويستنزف دلالات الكلمة، وتفاوت إيماءات اللفظ، وتشعب طرق البيان، صانعًا بذلك لغته الخاصة الجديدة.

وهذه اللغة الجديدة، تنحرف عن نسقها المعتاد المعروف، وإنْ كانت تنطلق منه، لتبدع خلقًا جديدًا مثقلًا برموز عرفانية تجسد حالة الصوفي الداخلية وتعبّر عن تجربته الروحية، وهذا ما يجعل النّص الشعري الصوفي يعيش قطيعة مزدوجة «مع الكتابة الشعرية في عصره، ومع لغة هذه الكتابة، وهو - في ذلك - غربة داخل المعطى الشعري - الثقافي، وهو - بوصفه غربة - يُمارس نظامًا آخر للرؤية، وللكتابة، وطرق التعبير، والعلاقة بين اللغة والشيء أو الاسم والمسمى، ويقلب تبعًا لذلك نظام القيم، هكذا يتوجه إلينا هذا النّص بوصفه مرجع ذاته لذاته، ويستلزم قراءته بعين القلب، لا في أُفق المعلوم، بل في أُفق المجهول» [1].

فالخطاب الصوفي هو خطاب يُحاكي التجربة الروحية للمتصوف، ويحاول أن يقبض على خباياها ومكامنها حتى يرصدها بكل أبعادها الفكرية والروحية، وهذا ما يجعل لغته رمزية، ذات مفردات (مصطلحات) خاصة، وإحالات ثقافية مغرقة في الإلهام والغوص الذاتي والهيام الروحي، إنّها لغة تُعيد تشكيل الوجود من جديد على ضوء ما ينجم من تصورات وأفهام عبر حيوية التجربة والمعايشة الوجدانية المستمرة لما يتجلّى للصوفي من حقائق خلال الحدس والكشف والإشراق[2]، ولذا فإنّ كل مايتذوقه الصوفي ويشهده خلال تجربته الروحية، كان يقلى له صدى على مستوى لغة الكتابة المستعملة عنده.

وفي ضوء هذا الفهم للغة الصوفية والتجربة الروحية التي أنتجتها، نختلف مع الدكتورة (سعاد الحكيم)، حين ذهبت إلى ضرورة التمييز بين التجربة الصوفية وبين التعبير عنها ([3])، لأنّ التعبير عن التجربة - هنا - هو نقل لتلك التجربة من عالمها الذاتي/الحسي إلى التمثيل اللغوي/التعبيري، أي تطابق الذات مع اللغة والحس مع التعبير، أو كما عبّرت هي عن لغة ابن عربي: العودة من الأعماق إلى الآفاق[4]، ومسيرة العودة - هذه - هي المجال الذي تنشأ فيه اللغة الصوفية/النّص الصوفي، وإذا لم تكن هناك علاقة، بل قل مطابقة، بين التجربة الصوفية وبين التعبير عنها، لما ظهرت لغة خاصة بهم، والتي جاءت

---

1- التعبير الصوفي ومشكلته، د. عبدالكريم اليافي: 59.

2- ينظر: التأويل وإنتاج الدلالة في النص الصوفي (ابن عربي أنموذجًا)، رشيد عمران: 69 - 73.

3- ينظر: المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة): 13.

4- ينظر: ابن عربي ومولد لغة جديدة، د. سعاد الحكيم: 91.

لتمثيل واحتواء التجربة الصوفية في إطار لغوي/نصّي[1]، بل لو كانت التجربة الصوفية خارج نطاق التعبير عنها لما تحققت إمكانية التلقي والقراءة، إذ «لا تتحقّق الكتابة إلّا لأنّها تحمل في داخلها إمكانية القراءة والتلقي» [2].

ولذلك كان رد فعل السلطة الدينية (الفقهية) في إدانة بعض أعلام التصوف ورميهم بالزندقة، ومن ثم محاكمتهم وقتلهم كما حدث للحلاج والسهروري المقتول وعين القضاة الهمذاني وغيرهم على مر العصور[3]، منصبًا على هذا المحور (لغة الصوفية وتعابيرهم المُشكِلة) أكثر من انصبابه على التجربة الصوفية ذاتها، لأنّ التجربة استمدت شرعيتها من منظومة إسناد ديني/تأويلي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[4].

كما أنّ رأي الدكتورة (سعاد الحكيم) - السابق - ينسف التراث الصوفي اللغوي، فعلى ضوء فرضيتها (ضرورة التمييز بين التجربة الصوفية وبين التعبير عنها) تكون النّصوص الأدبية التي بين أيدينا - حسب أحد الباحثين - مجرد سطور تملأ فراغًا في التاريخ![5].

في حين أنّ أيّة دراسة للردود والانتقادات التي وُجهت إلى الصوفية - على مدى التاريخ - ستخلص إلى أنّ تلك الانتقادات كانت تركز بشكل أساسي على (اللغة/التعبير/الأسلوب/الغموض/الترميز/التلغيز.....)، لأنّ اللغة التي يتداولها الصوفية - تعبيرًا وكتابة - تختلف عن لغة غيرهم وكتاباتهم، فالآخر - الضد - يطبق تمثيل ثقافي معجمي أو لغوي من خارج التصوف على اللغة الصوفية، وهنا تولد الفجوة، فالكلمة أو الشيء عند الصوفية «لا يماثلان الدّال والمدلول..... بل هما يستمدّان معناهما من خلال التمثيل الثقافي» [6]، وهذا التمثيل هو الذي يطابق الدال والمدلول بالكلمة والعبارة الصوفية.

ويعني ذلك: «أنّ اللغة الصوفية هي تحديدًا، لغة شعرية، وأنّ شعرية هذه اللغة تتمثل في أنّ كُلّ شيء فيها يبدو رمزًا، كل شيء فيها هو ذاته وشيء آخر، فالحبيبة مثلًا، هي نفسها، وهي الوردة، أو الخمرة، أو الماء، أو الله (سبحانه)، إنّها صور الكون وتجلياته، فالأشياء في الرؤية الصوفية متماهية متباينة، مؤتلفة مختلفة، وهي في ذلك تتناقض مع

---

1- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 73 - 74.
2- المعنى الأدبي، ويليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز: 25.
3- ينظر: صرعى التصوف (الحلاج وعين القضاة الهمذاني والسهروردي نماذج)، أسماء خوالدية: 62 - 84.
4- ينظر: الصوفية والعقل، د. محمد عبدالله الشرقاوي: 35.
5- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 74.
6- الألسنية (علم اللغة الحديث)، ميشال زكريا: 180.

لغة الشريعة حيث الشيء هو ذاته..... لأنّ اللغة الشرعية هي لغة فهم، بينما لغة الصوفي هي لغة حب» [1].

هكذا ينبثق النّص الصوفي من خلال فهم خاص للمدلول اللغوي، حيث يتم استجلاب الكلمة/العبارة وتحويلها كتعبير عن التجربة الروحية، وهي على هذا الأساس تتميّز بسياقات متنوعة لا تخضع للمرجعية اللغوية المعجمية السائدة، وإنّما تشكّل مفرداتها وقاموسها الخاص، وتركز على دور المصطلح (اختزال الجملة الصوفية، أو الحالة الوجدانية) الذي يُحيل إلى دلالات مبتكرة ومنفتحة، ممّا يجعل اللغة الصوفية قادرة على مزاوجة الكلمة والمعنى بشكل أقرب إلى الشعرية، على عكس محدودية العلاقة بين الكلمة والمعنى في اللغة العادية[2].

ومن هنا ارتمى الصوفية في أحضان الشعر، للعلاقة بينهما تجربة وأسلوبًا، ذلك أنّ «التعبير الصوفي تعبير شعري بطبيعته، ينبع الجمال على نحو عفوي من داخله..... فالكلام الصوفي هو الكلام الباطن، كلام الماوراء، واللاشعوري، لأنّ التجربة الصوفية التي ولدته هي إبحار في مناطق مجهولة من الفكر والروح والنفس» [3]، ولذا فإنّ ما يعانيه الشاعر خلال عملية تجسيد ما اختمر في ذهنه من تساؤلات ورؤى وأفكار، يشبه إلى حَدٍ كبير ما يعيشه الصوفي في مقاماته وأحواله[4].

فبين الوجود والوجدان شكّل التصوف وعيًا مكثّفًا بالذات في تواصلها مع الآخر ومع نفسها، وهو بذلك يلتقي مع الشعر، باعتبار «أنّ الشعر محاولة إنسانية للحفاظ على الحياة الداخلية، تساعد على وعي أفضل للذات، وتصنع التوازن بين الداخل والخارج» [5].

بهذا يكون قدر التصوف والشعر أن يجتمعا في الإبداع «كعملية ذهنية فكرية وجدانية يخوضها المبدع..... وكقدرة فكرية خاصة تكشف الشيء المخفي وتبتكر الشيء غير الموجود» [6]، ذلك أنّ الأوّل (التصوف) تجربة الشعور بذوات الأشياء وبالمطلق، والثاني

---

1- الصوفية والسوريالية: 23.

2- ينظر: اشكالية المنهج وتأويل النص الصوفي، شريف هزاع شريف، مجلة ألواح، اسبانيا، العدد (12)، السنة (2002م): 45.

3- القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري: 101.

4- ينظر: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، سعيد بوسقطة: 138.

5- الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجا)، عباس يوسف الحداد: 38.

6- الإبداع بين التنظير والممارسة، بشير ونيسي: 108.

(الشعر) كلمات تحت كلمات[1]، فكلاهما فعل إبداعي داخل اللغة.

وإذا كانت التجربة الشعرية في أساسها تجربة لغة، تنقل الصورة الكاملة التي يصدرها الشاعر حين ينتعش وجدانه، ويتّقد فكره[2]، فإنّها عندما ترتبط بالتصوف تتجاوز المألوف، وتجاوز المألوف لا يكون إلّا بتغيير داخل اللغة، وهذا التغيير في اللغة لا يتمّ إلّا بتغيير بنية العلاقات التي تشكل اللغة، واستنادًا إلى «أن اللغة مختبر الشعر، فقد أسس الصوفية لطريقة خاصة في الكتابة، تقوم على التعبير غير المباشر الذي يشير إلى أبعادٍ خفية يُعانيها الصوفي..... بلغة خاصة قوامها الرمز والإشارة» [3].

هكذا، صار الشعر عند الصوفية دفقة من صفاء نفوسهم وإخلاص عواطفهم، فهو لحن المتصوف وأنشودته الخالدة، التي تصوّر ما شاهده من رؤى، وما تمتّع به من أذواق ومواجيد، فالشعر إلهام، والإلهام سرّ المعرفة عند الصوفية، يقول نسيب الاختيار: «إذا كان الإلهام هو معرفة الباطن، فإنّ الشعر الصوفي هو هذه المعزوفة التي طالما ردّدها الشعراء المتصوفة في كُلّ زمان وفي كُلّ مكان، ليعبّروا بها عن ذلك الإحساس الدقيق الغامض في تموجاته الرمزية للكشف الباطني» [4].

**وممّا سبق يمكن أن نحدّد محاور الالتقاء بين التصوف والشعر فيما يلي:**

1. إنّ التصوف والشعر يشتركان في صدق التجربة الذاتية والتعبير عنها بلغة فنية جمالية.
2. كلاهما يسبحان في فضاء الرمز كملمحٍ تعبيري، فضلًا عن الخيال الإبداعي في كُلٍ منهما.
3. كلاهما يُحيل على العاطفة والوجدان.
4. كما أنّهما يشتركان في غاية واحدة، وهي إنهاء نقص العالم، من خلال اكتشاف مركز الكمال في الإنسان، ولذا فكلاهما يبحث في الخفي[5].

---

1- ينظر: قيم من التراث، زكي نجيب محمود: 205.

2- ينظر: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، جمال مباركي: 35.

3- الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر، عبد الحميد هيمة: 64.

4- الشعر الصوفي، نسيب الاختيار: 36.

5- ينظر: تجليات الرمز في الديوان الكبير لابن عربي، عبد الكريم صالحي: 11.

وبقدر هذا الاقتراب - بين الشعر والتصوف - تتقلص المسافات بينهما، ويكون التماهي، ممّا جعل أدونيس «يعُد التصوف تجربة شعرية» [1]، وهذا ما يفسر الاهتمام المبكر للصوفية بالشعر، اذ وجدوا فيه الجدول العذب، والمنهل الصافي للتعبير عن مواجيدهم، وأداةً «لإنتاج المعرفة، لأنّه ينبني على الخيال، ويولّد معرفة ناتجة عن التّماس الحيّ مع الموضوع» [2]، بل أصبح الشعر عند الصوفية «تساؤلاً عن جوهر الإنسان والوجود، ورغبة في تغيير صورة العالم..... والصورة هنا تعبير» [3].

هذا التوغل الصوفي في الشعر، يوضح لنا المكانة التي أجلس فيها الصوفية الشعر مقابل النثر، فالشعر - حسب ابن عربي - هو «الأصل الثابت، والنثر هو الفرع النابت» [4]، ويعلّل الدكتور (بشر فارس) سرّ اهتمام الصوفية بالشعر قائلًا: «الشعر خلاف النثر خارج عن النطق الجاري، لأنّه أقرب إلى لطافة الهمس، وفي براعة الرمز أدخل، لأنّ الشعر على غرار التجارب الصوفية، ولكُلٍ طريقته في الوجد والتواجد، ثم إنّ الكشف يُرفع لأحدهم بين الخلوة والجلوة ما لا يرفع لغيره» [5]، كما وأنّ فيض شرارة الوجدان لا يمكن أن تتعقّل أو تتمنطق، ومن ثم لا يكون التعبير عنها إلّا بلغة شعرية، لأنّ الشعر «محل الإجمال والرموز والإلغاز والتورية» [6].

وتجدر الإشارة - ها هنا - إلى أنّ الصوفية - في ابتداء أمرهم - قد تبنّوا قصائد وأشعار غيرهم، ولا سيما العذريين، وأجروها على لسان حالهم، ومن ثم، زخر الشعر الصوفي بأناشيد رقيقة تشابه بنغماتها الغزلية، شعر الحب العذري في الشعر العربي، ويعلّل المستشرق الانكليزي (رينولد ألن نيكلسون) سبب لجوء الصوفية إلى لغة الحُب العذري في أشعارهم، فيقول: «فإذا قيل: لم ذهب الصوفية إلى هذا الحدّ في استعمال لغة الحب ورموز المحبين؟ كان الجواب: إنّهم لم يجدوا وسيلة أقوم ولا أقدر على التعبير عن مواجيدهم وأحوالهم من - هذا - الشعر» [7].

---

1- الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر: 8.
2- الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر: 8.
3- الصوفية والسوريالية: 161.
4- الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم: 16.
5- كلمة الشاعر، د. بشر فارس، مجلة المقتطف، المجلد (106)، العدد (4)، السنة (1945م)،: 26.
6- الفتوحات المكية، محيي الدين ابن عربي: 1/51.
7- التصوف الاسلامي وتاريخه، رينولد ألن نيكلسون، ترجمة: أبو العلا عفيفي: 9.

ولكنّ الحال لم تدم هكذا، فقد نزع الصوفية إلى أخذ المبادرة والتعبير عن أحوالهم بأبيات ومقطعات ومن ثم قصائد منفردة، وأخذت شاعرية المتصوفة تنحو منحى خاصًا بالعبارات الصوفية التي بدأت تُلتقط بين ثنايا قصائدهم، وأخذت أولى بواكير الاستخدام الرمزي للمفردات تظهر مع نهاية القرن الثالث الهجري وظهور مدرسة الحلاج (244هـ - 309هـ)، وأخذت النّصوص الشعرية الصوفية منحى جديدًا، واكتسبت أبعادًا ذات تصورات عرفانية[1]، والعرفاني هو «الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية، بل يغوص في باطنها لمعرفة أسرارها» [2].

هكذا، مثّل الشعر الصوفي رافدًا مهمًّا، وركيزة أساسية، عمد إليها المتصوفة، حيث مكنّهم من البوح والتعبير عن تجاربهم الروحية، ليبلّغوا من خلال الشعر رسالتين:

- الأولى (روحية): تربط الخلق بالخالق، وبعوالم ما ورائية صافية نقية.
- الثانية (جمالية): متمثلة فيما تميّز به الخطاب الشعري الصوفي من خصائص فنية[3].

**المحور الثاني: النّص الصوفي والتأويل: (أبعاد الرمز واستراتيجية المنهج)**

ما مِن شكّ في أنّ إشكالية القراءة وتحليل الخطاب - كانت وما تزال - من أعقد الإشكاليات التي واجهت العقل البشري، وهذا ما جعله يسعى باستمرار إلى إيجاد آليات منهجية وعلمية لفهم النّص والوقوف على أبعاده الدلالية وتمثلاته المعرفية، ومردّ ذلك - حسب بعض الدارسين - إلى عبقرية اللغة التي تنطوي على قوة دلالية تجعلها قابلة لتعدّد التفسيرات، وانفتاحها على جملة من التأويلات من جهة، وبُعدِ غورِ الذات المنتجة للخطاب من جهة أخرى[4].

ويزداد الأمر تعقيدًا حينما يتعلق الأمر بالخطاب الصوفي - والشعري منه على وجه الخصوص - كونه خطابًا موغلًا في الرمز والتجريد والحجب والممانعة، تجربة وكتابة، ولذلك، فإنّ من العجز النقدي، التناول الضيق لنصوص الشعر الصوفي وفق آليات المناهج

---

1- ينظر: الرمز في شعر محيي الدين بن عربي، نديم بشار الباجحي: 15.
2- المعجم الفلسفي، جميل صليبا: 2/72.
3- ينظر: جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب، حمزة حمادة: 1.
4- ينظر: الخطاب الصوفي بين لطف الإشارة ورمزية العبارة: د. عبد القادر حمراني, مجلة أقلام الهند الالكترونية، (مجلة فصلية محكّمة)، السنة الثالثة، العدد (4)، اكتوبر- ديسمبر (2018م) , مقال متاح على الموقع الالكتروني (www.aqlamalhind.com).

التقليدية والسياقية، أو تلك المناهج النقدية المدرسية التي لا تخرج عن فلك تحديد واستنتاج الصور البلاغية، والتراكيب الرصينة، وتحديد اتجاهات الشاعر وأغراضه[1].

ولمّا كانت الحال كذلك، وكانت النتائج المرجوة من أي بحثٍ متعلقة بالمنهج المُتبع فيه، وعلى خلفية أنّ المناهج النقدية ما هي إلّا وسائل ننفذُ من خلالها إلى أعماق النّص ومجاهله وأسراره، حضر المنهج التأويلي - بوصفه آلية قراءة وتحليل - تُساعد على فكّ رموز النّص الشعري الصوفي وشفراته، وكشف دلالاته الخفية، ذلك أنّ طبيعة النّص الصوفي تُعطي للقارئ سلطة أكبر وحُرية أكثر للقيام بتحليل المادة الشعرية وصولًا إلى المتباعد الدلالي، ممّا يُشجع على تبني المنهج التأويلي في مقاربة هذا النوع من النّصوص - ولو بالدوران في محيطها - قصد كشف الغامض، وقراءة المُبهم، وإضاءة المُعتِم[2].

والحقيقة، أنّ رؤية الباحث ومنهجية الدراسة، رغم رفضها وتقاطعها مع الرأي الذي يذهبُ إلى أنّ «أيَّ نصٍ كان، ومهما كان جنسهُ الأدبي، فإنّه يحتوي في داخله على طريقة استعماله، مثلما نجدُ ذلك في عُلبة الدواء» [3]، فإنّنا لا نجدُ حرجًا من التصريح بأنّ تبني البحث للمنهج التأويلي في تحليل نصوص الشعر الصوفي ومقاربته لم يأتِ اعتباطًا، إذ لم يكن اختيار المنهج مصادفة أو عشوائية، وإنّما جاء عن قناعة في تبني هذا المنهج وآلياته، انطلاقًا من عدة مبررات نجدها منطقية - حسب رؤية الباحث على أقل تقدير - تتعلّق بطبيعة النّص الصوفي وخصوصيته من جهة، وبآليات المنهج التأويلي واستراتيجياته من جهة أخرى.

**فأمّا ما يتعلق بالنّص الصوفي وخصوصيته، فيمكن إجماله في نقطتين:**

- **النقطة الأولى: رمزية النّص الصوفي:** إنّ الرمز بوصفه معينٌ لا ينضب للغموض والإيحاء في الشعر الصوفي، يمثل في الوقت نفسه مصدرًا خصبًا من مصادر التأويل[4]، لأنّ الرمز يشحن اللغة بمعانٍ جديدة تتصل باللانهائي، ويُزيل عنها المألوف، وهذا التحرّر الذي فتح أبواب المُطلق، وأكسب النّص الشعري الصوفي أبعادًا جمالية، هو

---

1- ينظر: صراع التأويلات في النص الشعري الصوفي، د. بليغ حمدي إسماعيل، مقال متاح على الموقع الالكتروني (www.civivegypt.org).

2- ينظر: تجليات الرمز الصوفي في الديوان الكبير لابن عربي، عبدالكريم صالحي: 2.

3- نظريات القراءة وتلقي النص الأدبي، د. حسين خمري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، الجزائر، العدد (12)، السنة (1999م): 180.

4- ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: 261.

من شرّع أبواب التأويل للمتلقي، فأينما وجّهت فِكرك، وأمعنت النظر في قصائد الصوفية وأشعارهم الرمزية، تنازعتك معاني ودلالات متعدّدة، تفتح عالَم النّص الصوفي وتُعيد تشكيله الدلالي بناءً على سمة الازدواج في الرمز، والتي تجعل من التأويل موضوعًا لها[1]، وبتعبير مجازي أقوى، يُمكننا القول: «إنّ سفينة الرمز شِراعها التأويل، وقوة تحريكه رياح الفهم، وقدرة التخييل في الذات» [2]، وهذا يعني أنّ هناك علاقة تلازمية بين الرمز (موضوعًا) والتأويل (منهجًا)، فحيثما «وجِدَ الرمز تطلّب فعلًا تأويليًا» [3].

وخلاصة القول: إنّ الشعر الصوفي هو تعبير رمزي يبتعد عن كل ما هو واضح وسطحي، ومألوف، لأنّه ينبع من تجربة روحية، وخيال خصب، يوحي بالمعنى ولا يبوح به جهرًا، ولذا فإنّه يتطلب المتخيّل في قراءته، فيحمل المتلقي على الولوج إلى جوهر القصيدة عن طريق التأويل.

- **النقطة الثانية: القيمة الدينية للنّص الصوفي:** يمكننا رصد الخطاب الشعري الصوفي الذي لا يخرج - بالضرورة - عن ملامح وإحداثيات دينية مفادُها التقرّب إلى الله (سبحانه)، والوصول شعرًا إلى حالات الوجد الروحي، ومن هنا لم يكن النّص الشعري الصوفي مجرّد نظم لغوي ضيق يقع محتجزًا داخل قصيدة عمودية، بالقدر الذي كان رصدًا طبيعيًا لتجربة دينية قلبية، قِوامها الرياضات والمجاهدات الصوفية والتعبُّدية المستدامة، والذي أسفر عن أبيات شعرية تكشف حقيقة وجوهر تلك التجربة الدينية الروحية الاستثنائية[4].

هكذا يمثل الشكل الفني المعروض في النّصوص الشعرية الصوفية، إرثًا متجددًا فيما يحمله من علاقات مكثفة ومتراكمة جاءت مواكبة لعلاقة خاصة بين الشاعر وربّه (سبحانه وتعالى)، طلبًا للقرب، وطمعًا في المحبة، وشوقًا للرضا، ممّا يجعل هذا الخطاب الشعري خطابًا قيميًا استثنائيًا مُكثفا بالرصد الديني، فهو يبحث باستمرار عن أسرار المطلق والكمال والمقدّس[5].

---

1- ينظر: اللغة والتأويل، عمارة ناصر: 42.

2- تجليات الرمز الصوفي في الديوان الكبير لابن عربي: 105.

3- النص، الجسد، التأويل، فريد الزاهي: 57.

4- ينظر: صراع التأويلات في النص الشعري الصوفي: مقال متاح على الموقع (www.civicegypt.org).

5- ينظر: أسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي (عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النفّري)، عبد القادر بلغربي: 1.

وحين يُنتَج النّص الشعري الصوفي - بعد ذلك - فإنّه يأتي ترجمة لتلك التجربة الروحية، فيحمل في طيّاته التعقيدات الكبيرة، والانفتاح الواسع على التأويلات، التي تزيد عملية الفهم صعوبة مثلما تعطي النّص الشعري جمالية، وهذا ما أعطى النّص الشعري الصوفي القيمة التقديسية، كونه شكلًا من أشكال الأدب الديني[1].

ومن هنا تتجلّى العلاقة التلازمية بين النّص الشعري الصوفي (بوصفه نصًّا دينيًا تغلفه مسحة التقديس) والمنهج التأويلي، وهذا ما يقرّره (إمبرتو إيكو) أحد أبرز أعلام المنهج التأويلي في العصر الحديث، حيث يقول: «وبمجرد أن يتحول نصٌ ما إلى نصّ مقدّس داخل ثقافة ما، فإنّه سيصبح مرتعًا لسلسلة من القراءات..... مُحدثًا حالة ترف تأويلي» [2].

**وأما ما يتعلق بالمنهج التأويلي وآلياته، فيمكننا إيجازه بالقول:**

إنّ تبني البحث للمنهج التأويلي جاء من منطلق الحرية التي تمنحها آليات المنهج للقارئ في مقاربته لنصوص الدراسة، إذ يسعى هذا المنهج - حسب الدكتور عبدالملك مرتاض - إلى تقديم قراءة مفتوحة[3]، وما من شك في «أنّ القراءة المفتوحة التي يسعى إليها الإجراء التأويلي تمنح القارئ حرية أكبر في التعامل مع النّصوص، تلك الحرية التي كان قد فقدها في حالة التركيز على النّاص - المؤلف - أو التركيز على النّص، من دون أن يكون له وجود فعلي في العملية الإبداعية» [4].

إذ يمثل هذا المنهج منظومة متجانسة تقع في دائرة الاعتداد بطرفي العملية التواصلية الأخيرينِ (النّص - القارئ)، وتحليل جمالية التفاعل بينهما بتفسير عمليات وآليات الفهم وإمكانيات التأويل، وهي بذلك، جاءت لتستكمل ما أهملته البنيوية، ولتضع العملية الأدبية الإبداعية في دائرة التواصل الإنساني بالنظر إلى طبيعتها، ولنقل مركز الثقل في استراتيجية التحليل النقدي من جانب (المؤلف - النّص) إلى جانب (النّص - القارئ) [5].

---

1- ينظر: نقد/تصوف (النص- الخطاب- التفكيك): 44.

2- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، إمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد: 63.

3- ينظر: التأويلية بين المقدس والمدنس، د. عبدالملك مرتاض، مجلة عالم الفكر، المجلد (29)، العدد (1)، السنة (2000م): 269.

4- التشكيل البصري في الشعر العربي منذ (656هـ) دراسة تأويلية، عيسى محمد صالح آل سليمان: 16.

5- ينظر: في النقد الأدبي، د. صلاح فضل: 80.

وهذا يعني أنّ الممارسة التأويلية تقتضي تفاعلًا ورغبة بين طرفين: النّص - القارئ، والتقاء النّص بالقارئ يولّد هذه الرغبة وهذا التفاعل، أي أنّ «الضرورة التأويلية لا تنبع من النّص - فحسب - باعتباره نصًّا منفتحًا يدعو إلى التأويل، وإنّما تنبعُ - أيضًا - من رغبة المتلقي في ذلك، حين يغدو نصًّا ما نصًّا رمزيًا، بدءًا من عثورنا على دلالة غير مباشرة، من خلال استعمالنا فعالية التأويل في مقاربته» [1].

وبين رغبة النّص الشعري الصوفي في الاستتار والتشفير، ورغبة المتلقي في كشف الدلالات، تتجلّى فاعلية المنهج التأويلي، بوصفه «إجراء معرفيّا يُتخذ للكشف عن مدافن النّص وإبراز خفاياه» [2]، قصد تحقيق الكفاية، وما الكفاية إلاّ محاولة الوصول إلى الدلالة الباطنة في النّص الصوفي، وتأويل رموزه العرفانية، ومن هنا يذهب (تودوروف) إلى التمييز بين (الرمز) و (الخطاب) قائلًا: «إنّ الفرق الأساس بين الخطاب والرمز لا يكمُن في الطابع اللغوي، وإنّما يبرزُ من كون المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يوجدان معًا في الخطاب، بينما لا يوجد سوى أحدهما في الاستثارة الرمزية، ومن ثم فإنّ المتلقي يفهمُ الخطاب غير أنّه يقوم بتأويل الرموز» [3].

وهكذا، فإنّ القراءة التأويلية للنّص الشعري الصوفي تبرزُ ضرورتُها «في الكشف عن أمور لم يُصرّح بها النّص، وهذا الكشف لا يتم إلّا بالتفاعل العميق بين القارئ والنّص» [4]، وهذا ما يجعل القراءة التأويلية موازية لعملية إبداع النّص الشعري، ولا تقل عنها قيمة، فالقارئ - حسب الإجراء التأويلي - يُشارك في صناعة النّص، ولا ريب أنّ منهجًا بهذه الآليات والرُؤى يُعطي أُفقًا أرحب، ومساحة أوسع في تحليل النّص الشعري الصوفي، وسبر أغواره، وكشف أسراره، وبيان جماليات رموزه.

من هنا، وانطلاقًا ممّا سبق يجد الباحث من الأسباب المنهجية والعلمية والمنطقية ما يكفي لتبني (التأويل) منهجًا نقديًا لمقاربة نصوص الشعر الصوفي، وآلية لفهم وقراءة تلك النصوص وتحليل رموزها والكشف عن جمالياتها الفنية والتشكيلية.

---

1- الرمز الصوفي في الخطاب الشعري المعاصر وفعاليات التجاوز، محمد كعوان: 179.
2- التأويلية بين المقدس والمُدنس: 269.
3- النص، الجسد، التأويل: 57.
4- جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة: 100.

**المحور الثالث: التأويل الصوفي منهجًا لدراسة الشعر الصوفي: (كسر الشفرة وإضاءة العتمة).**

إنّ الحديث عن النّص الشعري الصوفي ومقاربته غدا من الأمور المثيرة للانتباه في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، بحُكم فرادة هذا النوع من النّصوص وتميّزه على مستوى الشكل والمضمون على حدٍ سواء، إذ يحاول النّص الشعري الصوفي - جاهدًا - البحث عن العلاقة بين الإنسان وربّه (سبحانه وتعالى) والكون، من خلال اعتماده على ثنائية الرمز والتأويل في إطار اللغة.

ولمّا كان التأويل يختلف باختلاف الفئة الممارسة له من متكلمين وفقهاء ومتصوفة وفلاسفة ونقاد، عرب وغربيين، قدماء ومحدثين، انطلاقًا من مبدأ أنّ «لكل أمةٍ هيرمينوطيقا، بل حُق لكل فردٍ أن يكوّن لنفسه مبدأً هيرمينوطيقيًا» [1]، وكان التأويل هو القاسم المشترك بين هؤلاء جميعًا، وأداة لإنتاج المعرفة عندهم، فإنّ ذلك يحتّم علينا تحديد تيار بعينه واتجاه بذاته من بين تلك التيارات والاتجاهات والمدارس التأويلية المتعدّدة، وانطلاقًا من هذه الرؤية جاء هذا المحور من البحث كمحاولة للإجابة عن سؤال المنهج الذي تطرحه الدراسة، بخصوص الاتجاه أو المدرسة التأويلية التي سيتبنّاها البحث في مقاربة نصوص الشعر الصوفي، وأسباب التبنّي ودوافعه.

والحقيقة أنَّ إشكالية المنهج ليست قضية هذه الدراسة أو غيرها من الدراسات المعاصرة فحسب، بل هي مسألة تاريخية تعود لعصر الفلاسفة من قبل أفلاطون ومرورًا بأرسطو[2]، ولا شكّ أنّ الاختيار صعبٌ حين نطرقُ هذا الباب من التاريخ والثقافة والفكر، فيما يتعلق بمسائل القراءة والفهم والتأويل، وتكمن صعوبة الاختيار في طبيعة هذا الأدب الذي يكتنفه الغموض والرمز، ويتجاوز المعهود والمتعارف عليه لغة وتشكيلًا ودلالة، ومن هنا فإنّنا لا نستطيع قراءته ولا نقدر على فهم رموزه وتحليل بنياته وأنساقه إلّا ببسط نظري يؤسس لنظرتنا إلى هذه المُدونة الشعرية وموقف الدراسة من تأويل نصوصها وتحليلها.

فالنّص الشعري الصوفي هو نص يمتاز بِسِمة التنقّل عبر اللغة وتجاوزها، والأخذ بزمام التحوّل بين المدلولات حسب حوامل المتلقي ومقدرته المعرفية، وهذا ما يجعل

1- أُسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي (عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النفّري)، عبدالقادر بلغربي: 28.

2- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 47.

النّص الصوفي رهينًا بمتلقيه، لأنّ هندسة بناء أنظمة النّص اللغوية جاءت بشكلٍ تركيبي مكثف، تحملُ شفرات متعدّدة ومتباينة، أي أنّ الشعر الصوفي مشروع لتكوينٍ لغوي خاص، ذي بناءٍ مُغاير للنّصوص الأخرى، وقد منحه ذلك سِمة اللعب المستمر بالدلالات، ومن هنا دخل النقد والتأويل إلى النّص الشعري الصوفي بوصفهما مسارين يُحاكيان هذا النّص ويتفاعلان معه، انطلاقًا من كون التجربة الصوفية تجربة روحية ذوقية ذاتية[1].

وهذا ما يجعل قراءة نصوص الشعر الصوفي تتطلّب فهمًا للمعرفة الذوقية، وأن نضع في اعتبار القراءة أنّ التصوف (تجربة ونصًّا) يعتمد على الكشف والحدس، وبتعبير أدق، إنّ مقاربة النّصوص الشعرية الصوفية تستلزم مِنّا أن نكون متصوفة، أو أن نمتلك - على الأقل - أدوات تؤهّلنا لفهم النّص الشعري الصوفي والدخول في عوالمه الغيبية الماورائية، أي أنّ قراءة النّص الشعري الصوفي تتطلّب معرفة صوفية تقارب معنى التجربة الروحية عند الشعراء الصوفية بالخطابات الموجودة في أشعارهم، كما يتطلّب فهم هذه النّصوص ورموزها ولغتها قراءة خاصة ومنهجًا تأويليًا خاصًا أيضًا[2].

ولمّا كان النّص الشعري الصوفي على هذه الدرجة من الممانعة والمراوغة، كان لا بُدّ للباحث الذي يلجُ لُجّته ويحاول أن يسبر أغواره ويكشف أسراره من مواجهة العديد من العقبات والصعوبات، وفي هذا السياق تذكر العديد من المصادر تجربة الدكتور (أبي العُلا عفيفي) في تعامله مع النّصوص الصوفية عامة ونصوص ابن عربي خاصة، كونها تجربة رائدة يُعبر فيها - هذا الباحث الجاد - عن المشاق والصعوبات التي تعرّض لها عند مقاربته لنصوص ابن عربي وخاصة كتاب (فُصوص الحِكَم) من جهة، وآلية تذليل تلك الصعوبات لفهم النّصوص الصوفية ومن ثم مقاربتها وتحليلها من جهة أخرى، وها هو ذا الدكتور عفيفي يصف لنا تفاصيل هذه التجربة قائلًا: «أقبلتُ على كُتُب ابن عربي أقرؤها، وكان أوّل كتاب نصحني الأستاذ*[3] بقراءته (فُصوص الحِكَم)، فقرأتهُ مرّاتٍ ومرّات، تارةً النّص وحده، وتارةً النّص مع بعض الشروح، مثل شرح القاشاني، وداود القيصري، وعبد الرحمن جامي، وعبد الغني النابلسي، ولكن لم يفتح الله عَليَّ بشيء! كنتُ اقرأ كلامًا عربيًا

---

1- ينظر: المصدر نفسه: 14.

2- ينظر: أُسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي (عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النِفّري): 34-33.

3- (*) المقصود بالأستاذ هنا المستشرق (رينولد ألن نيكلسون) وكان يشغل منصب رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة كامبرج عام (1927م)، وهو الأستاذ المشرف على أطروحة (أبي العلا عفيفي) في الدكتوراه.

مُبينًا، وأفهمُ كل كلمةٍ على حدة، ولا أستطيع فهم المضمون العام أو المعنى الكُلي لما يهدف إليه المؤلف، أذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله في افتتاحية الكتاب: «الحمدُ لله مُنزِل الحِكَم على قلوب الكَلِم، بأحدية الطريق الأَمَم، من المقام الأقدم، وإن اختلفت النِحل والمِلل لاختلاف الأُمُم، وصلى الله على مَحْمَدِ الهِمَم من خزائن الجود والكرم بالقِيل الأَقوَم، مُحمّدٍ وعلى آلهِ وسلم»، كُلّ هذا كان ظلامًا في ظلام، لأنّي لم أكن على إلفٍ بمصطلحات ابن عربي ولا بأسلوبه، ولم أكن أفهم على الحقيقة ما يقصده بـ (الحِكَم) و (الكَلِم) و (الطريق الأَمَم) و (خزائن الجُود والكَرم) و (القِيل الأَقوَم)، كنتُ أفهمُ هذه الكلمات بمعانيها اللغوية الظاهرة، ولم يكن في ذلك الفهم غَناءٌ على الإطلاق، ذهبتُ إلى الأستاذ ونفسي تفيض يأسًا وحُزنًا، وأعلنتُ له في صراحةٍ أنّني لا أستطيع فهم (الفُصوص)، وأنّه أوّل كتاب عربي واجهتُ فيه هذه الصعوبة، فنصحني بترك (الفُصوص) والإقبال على كُتُبٍ أخرى لابن عربي، فقرأتُ منها نيّفًا وعشرين كتابًا ما بين مطبوع ومخطوط، ومنها: (الفتوحات المكية) و (التدبيرات الإلهية) و (إنشاء الدوائر) و (عقلة المستوفر) و (مواقع النجوم) و (تفسير القرآن) المنسوب إلى ابن عربي وغيرها، وكأنّ (الفتوحات) - كانت - بمثابة المفتاح الذي فُتِحَت به مغاليق (الفُصوص) إذ ما أن قرأتُه حتى انكشفت لي مُعمّيات (الفُصوص)، وتبيّنَتْ لي مَعالِم الطريق إلى فهم أسلوب ابن عربي ومراميه، وأدركتُ أنّ للرجل لغتينِ مختلفتينِ يخاطبُ بهما القارئ طوال الوقت، ويمزج إحداهما بالأخرى إلى حدٍّ يُخفي معه المعنى المقصود أحيانًا، وهاتانِ اللغتانِ هما لغة الظاهر ولغة الباطن، أو لسانُ الشريعة ولسانُ الحقيقة على حدِّ تعبير الصوفية أنفسهم، أمّا لغة الظاهر فهي لغة عامة الخلق، وهي لغة الفقهاء والمتكلمين، وأمّا لغة الباطن فهي لغة الرمز والإشارة التي يُعبّر بها الصوفية عن المعاني والدقائق المستترة وراء ظاهر الشرع» [1].

وما يلفت النظر في تجربة الدكتور عفيفي مع نصوص الشيخ الأكبر، ويمكننا الإفادة منه في دراستنا هذه، يمكن إجماله في ملاحظتين:

- **الملاحظة الأولى:** خصوصية النّص الصوفي - شعرًا كان أم نثرًا - وصعوبة التعامل معه ومقاربته، ذلك أنّه نصٌ يكتنفه الغموض، قائم على الرمز الذي يميل إلى الإضمار والإبطان بدل الكشف والإعلان، من خلال جمعه بين العبارة والإشارة، لتصير العبارة سترًا للإشارة، والإشارة تلميحًا للعبارة، ممّا يجعل الدلالة محجوبةً خلف

1- ابن عربي في دراساتي، د. أبو العلا عفيفي (ضمن الكتاب التذكاري): 7-6.

أستار الرمز «فالكتابة الصوفية - شعرًا كانت أو نثرًا - تعتمد الغموض، وتحترف الممانعة والانفلات من عِقال المعنى المألوف، لتحُطّ في نهاية المطاف على ضفاف بحر التأويل» [1]، وهو ما يدفع بالباحث إلى تبنّي التأويل منهجًا لدراسة النّص الصوفي، لِمَا يمتاز به هذا المنهج من آليات واستراتيجيات في محاورة النّص ومقاربته، فالنّص «يكشف عن نفسه بمزيدٍ من الوضوح لأعيُننا من خلال النشاط التأويلي» [2]، ذلك أنّ الممارسة التأويلية في النقد الأدبي تأتي لإنجاز هدفينِ رئيسينِ:

1. دمج وعيِنا بمجرى النّص المؤوَّل.

2. اختيارنا المسبق لنصوص لا تحمِلُ في ذاتها دلالة جاهزة ونهائية، بل هي فضاء دلالي مفتوح، كما هو الحال في النّص الصوفي، وهذا ما يجعل في القراءة التأويلية طابع المغامرة والاقتحام للوصول إلى مغزى النّص المراد تأويله[3].

- أمّا الملاحظة الثانية: التي يمكن أن نستنتجها من تجربة الدكتور عفيفي ممّا له صلة بمنهج هذه الدراسة، فهي حتمية الرجوع إلى التراث الصوفي نفسه في محاولتنا لفهم رموز النّص الصوفي وتأويلها.

ولا ريب أنّ رمزية النّص الصوفي، والشعري منه على وجه الخصوص، واستغلاقه واستعصائه على الفهم الخاضع لمقولات العقل والمنطق، هو ما يُحتِّم علينا الرجوع إلى المدونة الصوفية نفسها لكسر شفرات رموزه وإضاءة المعتم من جوانبه، وإلى هذا قد أشار الطوسي في معرض تعريفه للرمز الصوفي حين وصفه بأنه «معنى باطن مخزون تحت كلامٍ ظاهرٍ لا يَظفَرُ به إلّا أهله» [4]، ويُفهم من كلام الطوسي عن الرمز الصوفي، أمرانِ:

- **الأول: طبيعة الرمز الصوفي:** فهو ذو وَجهينِ، ظاهر وباطن، واضحٌ ومُبهم، مُضاءٌ ومُعتِم، وهذا ما يُعطي الرمز الصوفي تلك الازدواجية الدلالية، التي تحتاج - لكي تُفهم - إلى تفكيكٍ وتحليلٍ وتأويلٍ، لأنّ التأويل هو المفتاح لتلك الشفرات والإشارات الغامضة.

---

1- التأويل وإنتاج الدلالة في النص الصوفي (ابن عربي أنموذجًا): 70.

2- الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوبنر، ترجمة: فؤاد كامل: 86.

3- ينظر: المعنى الأدبي: 17.

4- اللُّمع في تاريخ التصوف الإسلامي: 399.

- **الثاني: صعوبة تأويل الرمز الصوفي:** وهو ما يُفهم من قول الطوسي: «لا يظفرُ به إلّا أهلُهُ»، وهي إشارة صريحة إلى صعوبة فهم تلك الرموز والإشارات إلّا من خلال الرجوع إلى الصوفية أنفسهم، فأهل مكة أدرى بشعابها.

هكذا يغدو الرجوع إلى المدونة الصوفية والاستعانة بها في مقاربة النّصوص الشعرية الصوفية وتأويلها تأويلًا يتسق وطبيعة التجربة الروحية التي أنتجَت هذا النوع الاستثنائي من النّصوص الأدبية، أمرٌ لا مَناص منه لكُلِ باحثٍ في الأدب الصوفي، نظرًا لخصوصية التشكيل اللغوي للنّص الشعري الصوفي القائم على تقنية الترميز والتشفير، التي تجعل القارئ يقف محتارًا أو متسائلًا - على أقل تقدير- عن دلالات تلك الإشارات، ومعاني تلك الرموز، ممّا يجعل الرجوع إلى مصنّفات التراث الصوفي، ولاسيما (شروح الدواوين الشعرية، والمعاجم الصوفية، وكتب التراث الصوفي) ضرورة لا بُدّ منها في تأويل تلك النّصوص، لأنّها تلعب دورًا أساسيًا في توجيه القارئ أو المتلقي لهذه النّصوص توجيهًا صحيحًا في الفهم والتأويل، بعد أن حصل سوء تلقٍ لتلك النّصوص من قِبل الكثيرين.

ذلك أنّ ما يرمز إليه الصوفية في أشعارهم «حقائق لا يستقِلُ العقل بفهمها، لأنّها لا تدخل في نطاق العقل ولا تقع تحت مقولاته، لهذا كان لِزامًا على الناظر في أقوال الصوفية أن يكون على حذرٍ في فهمها، وتأويلها، والحُكم عليها، وإلّا صرفها إلى غير معانيها، أو حمّلها ما لا تحتمل» [1].

وهي مسألة تنبّه إليها الصوفيةُ القدماءُ وحذّروا من الوقوع فيها، وممّا يُذكر في هذا الباب، ما رواه الإمام عبدالوهاب الشعراني من خبر العالم الجليل ابن حجر العسقلاني، صاحب كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، الذي وضع شرحًا لبعض أبيات من (التائية الكبرى) لابن الفارض، وقدّمه للشيخ (مدين بن أحمد الأشموني) حفيد الشيخ (أبي مدين الغوث)، ليكتب له إجازة فيه، فلمّا اطلع الشيخ الأشموني على الشرح، كتب له على ظهره: ما أحسن ما قال بعضهم:

سَـارتْ مُـشَـرّقـةً وسِـرتَ مُغـرِبًا　　　شَـتّـانَ بيـن مُـشَـرِقٍ ومُـغـرّبِ[2]

ومن ذلك أيضًا، ما وقع لابن عربي، حين بلغه أنّ من الفقهاء وعامة الناس من أساء فهم إشاراته في (تُرجمان الأشواق)، فاتهموه بأنّه شاعرٌ غَزِل يصِفُ في ديوانه النساء

1- ابن عربي في دراساتي (ضمن الكتاب التذكاري): 7.
2- ينظر: اليواقيتُ والجواهر في عقيدة الأكابر، عبدالوهاب الشعراني: 1/22.

وديارِهنَّ ويُشببُ بهِنَّ، فعمد إلى شرح ديوانه شرحًا صوفيًا يقول في مقدمته: «ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية، والتنزلات الروحانية، والمناسبات العلوية، جريًا على طريقتنا المُثلى، فإن الآخرة خيرٌ لنا من الأولى، ولعلمها (رضي الله عنها) بما إليه أُشير، ولا يُنبِئُك مثلُ خبير، والله (تعالى) يعصِمُ قارئ هذا الديوان من سبقِ خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية، والهِمم العليّة، المتعلقة بالأمور السماوية» [1].

وفي هذا السياق يمكن أن نُدرِك أهمية شروح الصوفية وتأويلاتهم لنصوصهم الشعرية، حيث وضع ابن عربي شرحًا لديوانه (ترجمان الأشواق) سمّاه (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق)، وشرح الشيخ عبد الغني النابلسي ديوان ابن الفارض وسمّى شرحه (كشف السِر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض)، كما شرح قصيدة (النادرات العينية) لعبد الكريم الجيلي، أما قصيدة (نظم السلوك) أو (التائية الكبرى) لابن الفارض فقد حظيت باهتمام الكثير من الشراح وعنايتهم على مر العصور، حيث بلغت شروحها نيفًا وعشرين شرحًا[2].

ومن هذا المنطلق، واعتمادًا على ما قد سبق، تتبنى الدراسة (التأويل الصوفي) منهجًا في قراءة نصوص الشعر الصوفي وفهمها، ومنطلقًا في مقاربة تلك النّصوص وتأويل رموزها، من خلال العودة إلى الجذور واستلهام الموروث الصوفي، علّنا بذلك نصيب كَبِد الحقيقة أو نُدانيها، وتلك غاية كل باحثٍ ومُنية كلّ مجتهدٍ.

وفي هذا الإطار، تجدرُ الإشارة إلى أنَّ تبنّي الباحث لاستراتيجية (التأويل الصوفي) منهجا في مقاربة النصوص الشعرية الصوفية وتحليلها، جاء انطلاقًا من رؤية علمية ومنهجية تستند إلى مبرّرات يجدها الباحث منطقية، تؤكد فاعلية هذا الإجراء النقدي وكفاءته، ومن ذلك:

1. إنّ هذا الاتجاه من الممارسة التأويلية على النّص الصوفي، هو الأكثر استخدامًا من قِبل الصوفية أنفسهم، بتناولهم لنصوصهم أو نصوص غيرهم من الصوفية بالشرح والتأويل[3].
2. إنّ هدف هذه الدراسة وغايتها الكبرى، هو أن نقف على النّص الصوفي عامة،

---

1- ترجمان الأشواق، محيي الدين بن عربي: 9.

2- ينظر: تائية ابن الفارض الكبرى وشروحها في العربية، د. عبد الخالق محمود عبد الخالق: 89 - 99.

3- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 50.

والنّص الشعري منه خاصة، ونجمع أُسسًا من ثقافة أهلهِ، علّنا نجدُ ضالتنا في هذه المنظومات، ولاسيما (شروح الدواوين)، التي تُحيط بالنّصوص الشعرية الصوفية وتعطيها أنساقها المعرفية والعرفانية على حدٍ سواء[1].

3. إنّ اعتماد الدراسة للتأويل الصوفي منهجًا في المقاربة والتحليل جاء تجنّبًا لسوء الفهم، وهذه المسألة هي جوهر العملية التأويلية، فليس التأويل - حسب فيلسوف الهرمينوطيقا شلاير ماخر - هو فن الفهم، بقدر ما هو تجنبٌ لسوء الفهم، ومن هنا فقد اكتفى (شلاير ماخر) في نظريته التأويلية بوضع المعايير العامة التي يراها ضرورية لتجنّب سوء الفهم[2]، وتابعه في ذلك كلٌّ من (ديلتاي) و (جادامير)، حيث ركّز (ديلتاي) جهوده في البحث عن فهمٍ وتفسيرٍ صحيحينِ للعلوم الإنسانية، في حين بدأ (جادامير) فسلفته التأويلية من إشكالية (سوء الفهم المبدئي) [3]، فغاية الممارسة التأويلية وهدفها - حسب (وولف) - هو «أن يبذلُ المُفسِر قُصارى جهده لتفهّم الأفكار المكتوبة أو حتى المنطوقة للمؤلف، على نحو ما يُريده هو لنا أن نفهمه» [4].

4. كما أنّ المنهج التأويلي يستند في أساس ممارسته على مجموعة من المنطلقات، ويُوجب على المؤوِّل (الناقد/الباحث) أن يقف أمام اختيار الفرضيات، واختيار طريقة البحث بما يلائم فضاءات العمل (النّص) المطروح لديه للتأويل، للوصول إلى الفهم الناجح الذي دعا إليه (جادامير) [5].

وعودا على ذي بَدء، وانطلاقًا من أنّ التأويل في أشهر دلالاته التداولية يعني حركة بالشيء باتجاه الأصل، وهو بذلك يعني الرجوع[6]، وتوافقًا مع هذه الدلالة، يتبنى الباحث (التأويل الصوفي) منهجًا في مقاربة نصوص الشعر الصوفي وتأويل عناصره ورموزه، بالرجوع إلى المدونة الصوفية واستلهامها في عملية القراءة والفهم والتأويل والتحليل، فمثلما لا يمكن للقارئ دراسة النّص الشعري الصوفي وفهم لغته الرمزية الإشارية إلّا بالرجوع إلى

---

1- ينظر: أُسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي: 29.

2- ينظر: من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة, عبد الكريم شرقي: 25.

3- ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد: 23.

4- المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم: إنجليزي - عربي) , د. محمد عناني: 117.

5- ينظر: نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): 53، 78.

6- ينظر: التأويل في العربية بين القديم والحديث, د. محمود حسن الجاسم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي - الإمارات، السنة (20)، العدد (79)، شوال 1433هـ = أيلول 2012م: 8.

التجربة الروحية التي أنتجت هذا النص، وشكّلت لغته الشعرية - على نحو ما بيّنّا في المحور الأول من هذا البحث - فكذلك لا يمكننا تأويل رموز الشعر الصوفي وكشف أبعاده العرفانية إلّا بالرجوع إلى الموروث الصوفي نفسه، وهنا تتفق رؤية الدراسة مع توجهات الباحث الجاد في الدراسات الصوفية (عطّار خالد)، حين قال مُعلِقًا على شرح وتأويل الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي لديوانه (ترجمان الأشواق): وهذا ما ينطبق على المدونة الشعرية للشيخ محيي الدين بن عربي الموسومة بـ (ترجمان الأشواق) التي أخضعها صاحبها لفعل التأويل الذاتي بهدف إثبات صحة القصدية، وتوجيه القراءة بتوجيه المعنى، وقد سجّل هذا التوجيه في كتابٍ أسماه (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق)، الذي أصبح تراثًا صوفيًا معرفيًا غنيًا يُثبت صحة قوله، وهذا أمرٌ ما كان ليتحقق لولا هذا التأويل الذي قام به صاحب الديوان بنفسه، ولا يمكن لأيّ شارح - مهما ادعى فهمه لفكر ابن عربي - أن يقف على تلك التأويلات التي أوردها تعبيرًا عن شرحه لمقصديته من التغزّل بـ (النظام) ابنة شيخه، وهذه الظاهرة كانت عامل إثراء للكتابة الصوفية التي باتت توصف بالتميّز، فما كان من ابن عربي إلّا أن تبحّر أكثر في التلميح والترميز، فجمع بين العبارة والإشارة، لتكون الأولى ثوبًا يستر الثانية، وصار المبنى يغطي ما فيه من معنى، فلا تُكشف لكُلّ من اطلع على الفكر الصوفي إلّا باقتفاء أثر التأويل الذي يكتبه أصحاب المذهب أنفسهم[1].

وفي السياق ذاته، يقول المستشرق الفرنسي (هنري كوربان) في معرض حديثه عن منهجه في دراسة آثار الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: «لقد انحصر مرمانا في التأمّل عمقًا، في النّصوص نفسها، في عددٍ من الموضوعات المحدّدة التي تجدُ صداها بلا شَكٍ في مُجمل مصنفات المؤلِف، إنّ أفضل تفسير لابن عربي - في نظرنا - هو ابن عربي نفسه، والسبيل الوحيد لفهمه هو أن يجعل المرءُ من نفسه - في لحظة معيّنة - مُريدًا من مُريديه، كما فعل هو نفسُه ذلك مع العديد من شيوخ الصوفية» [2].

من هذا وذاك، تتجلّى لنا قيمة التأويل الصوفي وضرورته في دراسة المدونة الإبداعية لشعراء التصوف، وتوجيه دفة القراءة والفهم والتحليل نحو المسار الصحيح، وما من شَكٍ في أنّ مثل هذا الإجراء التأويلي سيعمل على اكتناه النّص الصوفي، ليمضي في تحليل رموز القصيدة الصوفية إلى أغوار بعيدة، يمكن أن تضيء لنا عتمات التجربة الروحية التي نشأ عنها هذا النّص، أو تجعلنا نستشعر شيئًا إضافيًا من عمق تلك التجربة ونصّها الغامض

1- تأويل ابن عربي لترجمان الأشواق في كتابه ذخائر الأعلاق، عطّار خالد: 1 - 3.
2- الخيال الخلّاق في تصوف ابن عربي، هنري كوربان، ترجمة: فريد الزاهي: 20.

المجهول، من خلال الخوض في تلك المناطق التي تُلاقي بين خصائص الرمز وطبيعة التجربة الصوفية نفسها، والتوغّل في الكشف عن الهُوة التي يفتحها أمامُنا الرمز الصوفي، ليجعلنا في قاع سحيق تلازم المجهولات معلومه[1].

أمّا النقد الغربي، فإنّه وإن اعتنى بالشعر الصوفي العربي، وترجم بعض مقطوعات شعرائه أو ديوانًا من دواوينهم، إلّا أنّه لم يُحلّل ولم يؤوِّل الشعر الصوفي تحليلًا صوفيًا وافيًا، ولعل السبب في ذلك، غموض معانيه، وانبهام رموزه، وكون هؤلاء الدارسين غربيين يصعُب عليهم فهم روح لغةٍ غير لغتهم الأُم، وشعر روحي غريب في جوِّه عمّا ألِفوهُ من أجواء شعرية، وإن كانوا قد تعرّفوا إلى هذه اللغة وتعابيرها الفنية، فالمستشرقون بوجه عام، مهما لمع نجمُهم في ميدان الثقافة الإسلامية، قد يصعُب عليهم سبق النقاد والأدباء العرب إلى تفهّم وتحليل وتأويل شعر غامضٍ ومعقّدٍ ومُلغّزٍ كالشعر الصوفي، الذي كان ولا يزال موضوعًا مثيرًا للجدل والنقاش والاجتهاد[2].

وليس من شيء أدلُّ على صِحة هذا الرأي من اعتراف المستشرق الانكليزي الكبير (رينولد ألن نيكلسون) نفسه، فبالرغم من أنّه كان يشغل منصب رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة (كامبرج) عام (1927م)، وكان يُعد - آنذاك - شيخ الباحثين في التصوف الإسلامي في إنكلترا، والموجّه الأكبر لهذه الدراسات بها، وكانت له جهود كبيرة في معالجة النّصوص الصوفية ترجمةً ودراسةً، ومن ذلك دراسته الرائدة عن (فُصوص الحِكَم) التي ضمّنها كتابه القيّم (دراسات في التصوف الإسلامي)، إلى غير ذلك من الدراسات والترجمات، ورغم ذلك كُلِّه، فإنّ الأستاذ (نيكلسون) فكّر في ترجمة كتاب (فُصوص الحِكَم) ثم عدَلَ عن الفكرة لمّا أدرك صعوبة الكتاب، واستحالة نقل مصطلحاته إلى اللغة الانكليزية، إذ يقول في وصف هذا الكتاب: «ونظريات ابن عربي في (الفُصوص) صعبة الفهم، وأصعب من ذلك شرحها وتفسيرها، لأنّ لغته اصطلاحية خاصة، مجازية معقّدة في معظم الأحيان، وأي تفسير حرفي لها يُفسد معناها، ولكنّنا إذا أهملنا اصطلاحاته استحال علينا فهم كتابه، واستحال الوصول إلى فكرة واضحة عن معانيه» [3].

---

1- ينظر: التعبير الصوفي ومشكلته في مرآة النقد، د. وفيق سليطين، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية مُحكّمة، إيران، العدد (15)، السنة (خريف 1392هـ - 2013م): 55-54.

2- ينظر: معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي، نور سلمان: 3.

3- ابن عربي في دراساتي (ضمن الكتاب التذكاري): 5 - 6.

وبهذا يُحدّد المستشرق (نيكلسون) إشكالية تلقي النّص الصوفي في مسألتينِ: صعوبة الفهم، وصعوبة التفسير (التأويل)، وهما إشكاليتانِ حذّر الصوفية قُرّاء نصوصهم من الوقوع فيهما، فإذا كان «حرصهم على استخدام الرمز في التعبير عمّا يصلون إليه من أحوال ومعارف، منشؤه غيرتُهم على طريق أهل الله (تعالى) من أن تُكشف لغيرهم» [1]، فإنّ شرح وتأويل الصوفية لنصوصهم بأنفسهم جاء لكي لا «يُسيؤوا فهمها، وينحرفوا في تأويلها، فيقعوا في الضلال ويجرُّوا غيرهم له» [2]، ومن هنا فقد كان من دواعي اعتماد الباحث (التأويل الصوفي) دون (التأويل الغربي) في مقاربة نصوص الشعر الصوفي وتأويل رموزه، هو الابتعاد عن احتمال سوء الفهم لتلك الرموز والانحراف في تأويلها، فإذا كان العربي - من غير الصوفية - لا يمكنه فهم تلك الرموز، ويُخشى عليه من سوء تأويلها، مِمّا قد يوقعه في الضلال وسوء الفهم، فكيف للغربي أن يفهم تلك الرموز والأسرار على حقيقتها؟ وكيف يمكنه تأويلها؟!

وهذه السِمة (الرمزية والاستغلاق) في النّص الصوفي - شعرًا ونثرًا - هي ما دفع بالكثير من أعلام الصوفية إلى شرح تلك النّصوص - ولا سيّما الشعرية منها - شرحًا صوفيًا خالصًا (تأويل صوفي) بأنفسهم، ليبينوا فيه مقاصد كلامهم، وليوضحوا ما غَمُضَ من معانيه، ويزيلوا إشكال ما التبس منها، كي لا تُفهم وتُفسّر على غير الوجه الذي أراده مؤلفوها.

ولمّا كانت الحال كذلك، كان الرجوع إلى التراث الصوفي أفضل وسيلةٍ وأنجع طريقةٍ في فهم رموز الشعر الصوفي وتحليلها وتأويلها، فمن دونه لم يكن لمنهج آخر - مهما تعدّدت وسائله وتنوّعت آلياته وإجراءاته - من إضاءة عتمة هذا النّص الغامض وفَكّ شفراته، في حين أنّ الانطلاق من مفاهيم الصوفية في تأويل النّص الصوفي يُعطي الباحث مفاتيح سرية تُعينه على فتح ما استغلق من أبواب هذا النّص الشعري الممانع والمراوغ.

---

1- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، سارة عبد المحسن آل سعود: 121.

2- المصدر نفسه: 121.

**الخاتمة:**

إنّ هذه الخاتمة هي مجموعة من النتائج التي ترتقي إلى مستوى القناعات حسبما توصل إليه الباحث بعد الدراسة والتقصي في هذا الموضوع، وفيما يأتي أبرز هذه النتائج:

1. إنّ الشعر الصوفي هو تعبير عن تجربة عرفانية ذاتية فائقة الحساسية، يعيشها الصوفي في وجده وشهوده واتصاله بعوالم الغيب والمطلق، ولذا فالخطاب الصوفي هو خطاب يحاكي التجربة الروحية للمتصوّف، ويحاول أن يرصدها بكلّ أبعادها، وهذا ما يجعل لغته رمزية، ذات مصطلحات خاصة، ودلالات مغرقة في الإلهام والغوص في أعماق الذات والهيام الروحي، أي أنّها لغة تعيد تشكيل الوجود من جديد على ضوء ما ينجم من تصورات وأفهام، عبر حيوية التجربة والمعايشة الوجدانية المستمرة لما يتجلّى للصوفي من حقائق وأسرار خلال الحدس والكشف والإشراق.

2. إنّ رمزية النص الصوفي - والشعري على وجه الخصوص - جعلته خطابًا موغلًا في التجريد والحجب والممانعة، ونصًّا ملغزًا مفعمًا بالرموز والإشارات والإيماءات، وهو ما خلق أزمة تواصلية بينه وبين متلقيه فهمًا وقراءة وتحليلًا، ومن هنا دخل النقد والتأويل بوصفهما مسارينِ يحاكيانِ هذا النص ويتفاعلانِ معه، انطلاقًا من طبيعة التجربة الصوفية ورمزية نصوصها الشعرية.

3. إذا كان الرمز يُعدُّ معينًا لا ينضب للغموض والإيحاء في الشعر الصوفي، فإنّه يمثل في الوقت نفسه مصدرًا خصبًا من مصادر التأويل، وهذا يعني فيما يعنيه، أنّ هناك علاقة تلازمية بين الرمز (موضوعًا) والتأويل (منهجًا)، فحيثما وجد الرمز تطلّب فعلًا تأويليًا، وهذا ما حدا بالباحث إلى تبنّي التأويل منهجًا نقديًا في مقاربة النص الشعري الصوفي وتحليله رموزه وتأويلها.

4. إنّ المنهج التأويلي عنوانٌ واسعٌ، تندرج تحته العديد من المدارس والاتجاهات والتيارات والأفكار والرؤى، في مختلف الحقول الدينية والفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية، وفي الثقافتينِ العربية والغربية على حدٍّ سواء، وهو ما يحتّم علينا تحديد تيار بعينه واتجاه بذاته من بين تلك التيارات والاتجاهات التأويلية المتعدّدة، وانطلاقًا من هذه الرؤية، اقترحت الدراسة (التأويل الصوفي) منهجًا لفهم وقراءة نصوص الشعر الصوفي، ومنطلقًا في مقاربة تلك النصوص وتأويل رموزها، من خلال العودة

إلى الجذور واستلهام الموروث الصوفي، تجنّبًا للوقوع في سوء الفهم أو الانحراف في التأويل، فمن دون ذلك لم يكن لنمهج آخر - مهما تعدّدت وسائله وتنوّعت آلياته وإجراءاته - من إضاءة عتمة هذا النّص الغامض وفَكّ شفراته، في حين أنّ الانطلاق من المفاهيم الصوفية في التأويل يُعطي الباحث مفاتيح سرية تُعينه على فتح ما استغلق من أبواب النّص الشعري الصوفي الممانع والمراوغ.

# ثبت المصادر والمراجع

## أولًا: الكتب المطبوعة (التأليف و الترجمة)


- الإبداع بين التنظير والممارسة: بشير ونيسي، اصدارات رابطة الفكر والإبداع بولاية الوادي، مطبعة مزوار، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- ابن عربي في دراساتي: د. أبو العلا عفيفي، (ضمن الكتاب التذكاري: محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده: 1165م - 1240م): مجموعة باحثين، أشرف عليه وقدم له: د. إبراهيم بيومي مدكور، دار الكتاب العربي, القاهرة - مصر، (د.ط)، 1389هـ = 1969م.
- ابن عربي ومولد لغة جديدة: د. سعاد الحكيم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ = 1991م.
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة السابعة، 2005م.
- اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية: الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن عربي الطائي الحاتمي، ملحق بكتاب (التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ = 2003 م.
- الألسنية (علم اللغة الحديث): ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ط)، 1983 م.
- الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجًا): عباس يوسف الحداد، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، 2005 م.
- الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية: الإمام العلّامة عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، تح: لجنة التراث في الدار، دار صادر، بيروت - لبنان، دار البشائر، دمشق - سوريا، (د.ط)، (د. ت).
- التأويل بين السيميائيات والتفكيك: إمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، 2000 م.

- تائية ابن الفارض الكبرى وشروحها في العربية (تحقيق ودراسة): د. عبد الخالق محمود عبد الخالق، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1429هـ = 2009م.
- ترجمان الأشواق: الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن عربي الطائي الحاتمي، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1424هـ = 2003م.
- التصوف الإسلامي وتأريخه: رينولد ألن نيكلسون، ترجمة: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، (د. ط)، 1947م.
- التعبير الصوفي ومشكلته: د. عبد الكريم اليافي، منشورات جامعة دمشق، دمشق - سوريا، (د.ط)، 1420 هـ - 1421 هـ = 1999 م - 2000 م.
- التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر: جمال مباركي، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2003 م.
- جماليات الأسلوب والتلقي: موسى ربابعة، دار جرير، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، 2008 م.
- الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي: هنري كوربان، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات الجمل، كولونيا - ألمانيا، بغداد - العراق، الطبعة الثانية، 2008م.
- الرسالة القشيرية: الإمام قطب الصوفية أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، تقديم: نوّاف الجرّاح، دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د. ت).
- الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر: سعيد بوسقطة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، الطبعة الثانية، 2008 م.
- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي: د. عدنان حسين العوادي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، (د. ط)، 1986م.
- الشعر الصوفي: نسيب الاختيار، مطبعة اليقظة، دمشق - سوريا، (د.ط)، 1985م.
- شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجًا): محمد يعيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس - المغرب، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم (1)، (د.ط)، 2003 م.

- صرعى التصوف (الحلاج وعين القضاة الهمذاني والسهروردي نماذج): أسماء خوالدية، منشورات ضفاف - بيروت، منشورات الإختلاف - الجزائر، دار الأمان - الرباط، الطبعة الأولى، 1435هـ = 2014م.
- الصوفية والسوريالية: أدونيس (علي أحمد سعيد)، دار الساقي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 2010م.
- الصوفية والعقل: د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1995م.
- الفتوحات المكية: الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن عربي الطائي الحاتمي، قرأه وقدّم له: نوّاف الجّراح، دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- الفلسفة الألمانية الحديثة: روديجر بوبنر، ترجمة: فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، (د.ط)، 1987م.
- في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، منشورات إتحاد الكُتّاب العرب، دمشق - سوريا، (د.ط)، 2007 م.
- القارئ في الحكاية: إمبرتو إيكو، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، (د.ط)، 1996 م.
- القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري: وضحى يونس، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق - سوريا، (د.ط)، (د.ت).
- قيم من التراث: زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1948م.
- الكتابة والتصوف عند ابن عربي: خالد بلقاسم، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 2004م.
- اللغة والتأويل (مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي): عمارة ناصر، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.

- اللُّمع في تأريخ التصوف الإسلامي: أبو نصر عبد الله بن علي السّرّاج الطوسي، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت).
- المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم: إنجليزي - عربي): د. محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، دار نوبار، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، 2003م.
- المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة): د. سعاد الحكيم، دار دندرة، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ = 1981م.
- المعجم الفلسفي: جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، (د.ط)، 1979م.
- معجم المصطلحات الصوفية: د. عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1984م.
- معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة): د. عبدالله إبراهيم وسعيد الغانمي وعواد علي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1990م.
- المعنى الأدبي: وليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد - العراق، (د.ط)، 1987م.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1428ه = 2007م.
- من فلسفة التأويل الى نظريات القراءة (دراسة نقدية تحليلية في النظريات الغربية الحديثة): عبد الكريم شرقي، الدار العربية للعلوم، المغرب، الطبعة الأولى، 1428هـ =2007م.
- النص، الجسد، التأويل: فريد الزاهي، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2003م.

- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام: سارة عبد المحسن عبد الله جلوي آل سعود، دار المنارة، جدّة - السعودية، الطبعة الأولى، 1411ه = 1991م.
- نقد/تصوف (النص - الخطاب - التفكيك): شريف هزاع شريف، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.
- اليواقيت و الجواهر في بيان عقيدة الأكابر: الإمام العلّامة عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر، (د.ط)، 1959م.

**ثانيًا: الأطاريح والرسائل الجامعية**

- أسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي (عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النِفّري): عبد القادر بلغربي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 1436ه - 1437ه = 2015م - 2016م.
- تأويل ابن عربي لترجمان الأشواق في كتابه ذخائر الأعلاق، عطّار خالد، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس، الجزائر، 1435ه - 1436ه = 2014م - 2015م.
- التأويل وإنتاج الدلالة في النص الصوفي (ابن عربي أنموذجًا): رشيد عمران، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2016م - 2017م.
- تجلّيات الرمز الصوفي في الديوان الكبير لابن عربي: عبد الكريم صالحي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2008م - 2009م.
- التشكيل البصري في الشعر العربي منذ (656ه) دراسة تأويلية: عيسى محمد صالح آل سليمان، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 1425ه = 2004م.
- جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب: حمزة حمادة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، الجزائر، 1428ه - 1429ه = 2007م - 2008م.
- الرمز الصوفي في الخطاب الشعري المعاصر وفعاليات التجاوز: محمد كعوان، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006م.

- الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر: عبد الحميد هيمه، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2004م - 2005م.
- الرمز في شعر محيي الدين بن عربي: بشار نديم الباججي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 1426هـ = 2005م.
- معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي: نور سلمان، رسالة ماجستير، الدائرة العربية - الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، 1954م.

**ثالثًا: البحوث والدوريات**

- الأسلوب والأسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه): أحمد درويش، مجلة فصول، المجلد (5)، العدد (1)، السنة (1984م).
- إشكالية المنهج وتأويل النص الصوفي: شريف هزاع شريف، مجلة ألواح، اسبانيا، العدد (12)، السنة (2002م).
- التأويل في العربية بين القديم والحديث: د. محمود حسن الجاسم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصيلة ثقافية تراثية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي - الإمارات، السنة (20)، العدد (79)، شوال 1433هـ = أيلول 2012م.
- التأويلية بين المقدّس والدنّس: د. عبد الملك مرتاض، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، المجلد (29)، العدد (1)، السنة (2000م).
- التعبير الصوفي ومشكلته في مرآة النقد: د. وفيق سليطين، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، إيران - سوريا، العدد (5)، السنة (خريف 1392هـ - 2013م).
- كلمة الشاعر: د. بشر فارس، مجلة المقتطف، المجلد (106)، العدد (4)، السنة (1945م).
- نظريات القراءة وتلقي النص الأدبي: د. حسين خمري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، الجزائر، العدد (12)، السنة (1999م).

**رابعًا: المواقع الإلكترونية**

- الخطاب الصوفي بين لطف الإشارة ورمزية العبارة: د. عبد القادر حمراني، مجلة أقلام الهند الالكترونية، (مجلة فصلية محكّمة)، السنة الثالثة، العدد (4)، اكتوبر- ديسمبر (2018م)، مقال متاح على الموقع الالكتروني: (www.aqlamalhind.com)، تاريخ المراجعة (22/نوفمبر/2019م).

- صراع التأويلات في النص الشعري الصوفي: د. بليغ حمدي إسماعيل، مقال متاح على الموقع الالكتروني: (www.civivegypt.org)، تاريخ المراجعة (30/مارس/2017م).

# فهرس الموضوعات


| م | اسم الباحث | عنوان البحث | الصفحة |
|---|---|---|---|
| 1 | د. فدوى تاوريريت<br>أ. أمينة هلال | تداوليّة الخطاب الشّعري<br>قراءة في تحوّلات مقاصد الشّعر العربيّ المعاصر | 5 |
| 2 | لبنى علي المفتاحي | مناهج الحداثة وما بعدها<br>ومقاربة النص التراثي العربيّ | 31 |
| 3 | د. عبد الحميد إدريس الراقي | قضايا النّصّ عند الأصوليّين.. رصد لآليات الاشتغال | 51 |
| 4 | د. مريم عطية بوزيان | المنهج الأصولي والنظريات اللسانية<br>قراءة في السّبق والضّبط | 73 |
| 5 | د. سليمان عبد القادر جبار | موارد تَشَكُّلِ النص القرآني<br>في الدراسات الحداثية والاستشراقية | 101 |
| 6 | د. محمد أمجد رازق بن محمد رازق | علاقة التراث الإسلامي بمناهج البحث العلمي المعاصر<br>-كتب الحديث النبوي وعلومه أنموذجا- | 141 |
| 7 | أ. د. الرشيد بوشعير | البنية البوليفونية في رواية<br>«الديوان الإسبرطي» لعبد الوهاب عيساوي | 167 |
| 8 | د. خالد أحمد | قراءة نقدية من خلال نظريات ما بعد الحداثة للنص<br>المسرحي تنصيص للكاتب فهد ردة الحارثي | 181 |
| 9 | د. لطيفة محمد الفارسي | شخصيات النصّ السرديّ في بنية القصص النبويّ.<br>من القراءة المورفولوجية إلى القراءة الإحالية | 229 |
| 10 | أ. د. محمد عبد الحي | قراءة النص الأدبي بين التراث والمعاصرة | 257 |
| 11 | د. مونية مكرسي | قراءة النص اللغوي بين التراث والمعاصرة<br>«مقاربة تأويلية في قصيدة وصف الحمى للمتنبي» | 295 |
| 12 | د. يونس إبراهيم أحمد العِزّي | الشعر الصوفي والتأويل أقنعة النص ومغامرة المنهج<br>(مقاربة نظرية) | 331 |
| 13 | د محمد عبد الحليم أبو عرب | خطاب النبي في القرآن دراسة تداولية | 371 |
| 14 | د. فتيحة دوار | جُهود مالكية الغرب الإسلامي في خدمة النّص القرآني<br>من خلال التفسير الفقهي للقرآن الكريم | 401 |
| 15 | د. مريم محمد بن خاتم الشامسي | نحو مفهوم جديد للقراءة البيداغوجية | 437 |
| 16 | د. أحمد محمد نجيب<br>د. مجاهد جمال الحوت | التحليل اللغوي لألفاظ القرآن الكريم بين التراث<br>والمعاصرة الزمخشري وابن عاشور أنموذجًا | 455 |
| 17 | محمد بن حسين الأنصاري | عُرْف النَّص التراثي<br>رؤية منهجية من منظور التكامل في الدراسات البينية | 489 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 18 | أ. د. أحمد عبد الرحيم أحمد فراج | موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية<br>في التحليل النصي | 535 |
| 19 | عزيز محمد أوسو | البلاغة العامة وتحليل النصوص الأدبية<br>سؤال في البنية المصطلحية | 561 |
| 20 | أ. آمنة مصبح القايدي | أَعْجُوبَةُ النَّص عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ<br>(دَلَائِلُ الإِعْجَازِ أُنْمُوذَجًا) | 589 |
| 21 | أ. شيخة عبدالله الزعابي | الشاهد النحوي في معجم مقاييس اللغة لابن فارس | 605 |
| 22 | د. حسين عمر دراوشة | قراءة النص اللغوي تداوليًا بين<br>التراث والمعاصرة في الدراسات العربية نقد وتوجيه | 637 |
| | **أبحاث سمينار الوصل** | | 659 |
| 23 | ابتسام هائل غيلان المذحجي | الآثار الجانبية للدواء في مرحلة التجارب على الإنسان<br>دراسة فقهية | 661 |
| 24 | أ. تيمور سعيد أحمد شحي | تحقيق مخطوط في التراث الإسلامي موسوم بـ:<br>يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر | 675 |
| 25 | أ. إسماعيل محمد حسن | اختيارات الرُّوْيَانِيّ (ت502هـ) في<br>العبادات من كتابه حِلْية المؤمن: دراسة فقهية مقارنة | 683 |
| 26 | أ. محمد عطا الله فهد الثوابيّة | الأبعاد الفكريّة والتعليميّة في المثال النّحوي<br>دراسة تداوليّة | 689 |
| 27 | أ. محمد حسين بصمه جي | التجريب في الرواية العربية | 727 |
| 28 | أ. سمية أحمد سالم السويدي | علاقة النظام النحوي بلغة الشعر<br>المتنبي نموذجًا | 739 |

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 97143961777+، فاكس: 97143961314+، ص. ب : 50106
البريد الإلكتروني: info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة: www.alwasl.ac.ae